حياة الرجل العظيم والموسيقى



دار النشر باللغات الأجنبية
جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية
٢٠٢٦

حياة الرجل العظيم والموسيقى

دار النشر باللغات الأجنبية
جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية
٢٠٢٦

توطئة

كان الزعيم العظيم الرئيس كيم إيل سونغ رجلا فذا ترك مآثره الخالدة أمام الوطن والشعب والعصر والثورة بأفكاره ونظرياته العميقة وقدرته القيادية الفريدة، وممارسته الثورية الجبارة.

بعد أن انطلق على طريق الثورة في حدود العاشرة من عمره، قاد الحربين الثوريتين، والمرحلتين من الثورة الاجتماعية، وإعادة الإعمار والبناء مرتين، ومختلف مراحل بناء الاشتراكية إلى النصر، حتى حول بلادنا إلى دولة اشتراكية تزهو بالاستقلالية في القرار السياسي والاقتصاد والدفاع الذاتي.

كان من عادته أن يشق طريق النضال الثوري المعقد والمرير هكذا مع الأغاني.

ولد في الأسرة بمانكيونغداي والتي كان جميع أفرادها ضليعين في الموسيقى فقد استطاع إنماء غاياته الكبيرة لصنع الثورة من خلال تعلم الأغاني الوطنية من والديه منذ طفولته، ثم انخرط بحزم في الحرب المقدسة لتحرير الوطن وهو يغني أغنية القسم على استعادة البلاد المغتصبة من قبل الإمبريالية اليابانية.

قطع طريق النضال المرير الدامي ضد اليابان وهو يؤلف عددا كبيرا من الروائع الموسيقية الكلاسيكية الخالدة مثل «أغنية كوريا» و«أغنية الحنين إلى الموطن» و«أنشودة الحرب ضد اليابان»، ويغني الأغاني المشربة بالثقة في النصر الأكيد والإرادة لإبادة العدو، كما قاد الثورة الكورية مفعما بالتفاؤل بالنصر وهو ينشد ويسمع الأغاني سواء في أوقات الفرح أو في أوقات الشدة في أيام بناء الدولة وخوض الحرب وبناء الاشتراكية.

قال دائما للكوادر إنه من الطبيعي ألا يشعر الإنسان بوجاهة العيش وعنفوان القوة إلا عندما يعيش ويعمل بتفاؤل وهو يغني الأغنية، وبناء على تجربته، تعد الأغنية رمزا لانتصار الثورة، ولن تزدهر البلاد ولا يتوطد الحزب إلا حين تتعالى

أصـوات الغنـاء، ويوجـد انتصــار للثـورة حيثمـا ترتفـع أصـوات الغنـاء.

كل الخطـوات التـي خطاهـا الرئيـس كيـم إيـل سـونغ لقيـادة الثـورة وهـو يحـب الموسـيقى طـوال حياتـه، تنقـل عـددا كبيـرا مـن القصـص المرتبطـة بالأغانـي.

تم في هذا الكتاب تحرير بعض من تلك القصص التي تتخلل حياته الثورية.

فهرس

إنماء الوطنية مع الأغنية

على طريق النضال الثوري المرير المناهض لليابان

في أيام بناء الدولة

تردد أغنية الانتصار وسط نيران المدافع

تنفيذ الإبداع والبناء مع الأغاني

أصداء السعادة والإخلاص

إنماء الوطنية مع الأغنية

تبريك

عاش أفراد أسرة الرئيس كيم إيل سونغ في مانكيونغداي بشق الأنفس وهم يستأجرون أراضي الآخرين جيلا بعد جيل.

على الرغم من أنهم يقيمون أودهم على الحساء المضاف إليه ماء كثير، إلا أنهم كانوا جميعا ذوي قلوب صادقة في تقديم المساعدة والعون للآخرين ونذروا أنفسهم دون تردد لإنجاز المهام التي فيها مصلحة الوطن والشعب.

اعتاد جونغ سون (اسم الرئيس كيم إيل سونغ في طفولته) بدوره أن يفكر أول ما يفكر دائما في والديه والكبار منذ نعومة أظفاره.

حين أثمرت شجرة الخوخ التي كان جده يعتني بها ثمارا ضاربة إلى الحمرة في عز الصيف، قطف جونغ سون أكبر وأنضج الثمار وقدمها إليه أولا وقبل غيره.

في ذلك الحين، أجلس الجد حفيده على ركبتيه لشعوره بالرضا، وتغنى له بتركيب الكلمات التالية على لحن نيليري، تعبيرا عن أمنيته العارمة في أن يكون دعامة ممتازة للبلاد.

قونغنيري نيليري نيرينا نيري نيليري
التقطت حفنة من بذور الصنوبر
متجولا في هذا الجبل أو ذاك
وقمت بنثرها في هذا الجبل أو ذاك
حتى تغطيه غابة الصنوبر الغناء
...

رجّع جونغ سون بمرح غناء جده في حلقه وهو يصفق.

تردد «أغنية المهد» في بيت الميلاد

كان كيم هيونغ جيك، والد جونغ سون يعلق أملا كبيرا جدا عليه ويولي اهتماما خاصا لتثقيفه ليصبح دعامة للبلاد.

ذات يوم، جلس كيم هيونغ جيك إلى جانب ابنه الذي غرق في نوم عميق وراح يغني «أغنية المهد» وهو يرى كلماتها المكتوبة على الورق.

هذه الأغنية ألفها بنفسه تعبيرا عن رغبته في أن يكبر سريعا ليكون بطلا للبلاد.

نم، يا صغيري
نوما عميقا ومريحا
نم، يا صغيري
نوما هنيئا
كن لطيفا من أقاربك
كن الابن البار بوالديك
يا قرة عيني، أنت جوهرتي
...

فيما بعد، تعلم أفراد أسرته هذه الأغنية وأنشدوها له.

لذا، ترددت كل مساء أصوات «أغنية المهد» بخفوت من بيت ميلاده.

رغبة عارمة

كانت هناك شجرة البلوط الواحدة في مكان يبعد قليلا إلى الأعلى عن سفح جبل مانكيونغ وراء الفناء الخلفي للبيت.

لقد شد الجد كيم بو هيون أرجوحة إلى هذه الشجرة من أجل حفيده.

أركبت كانغ بان سوك، أم جونغ سون ابنه الأرجوحة ودفعتها وهي تغني الأغاني له.

من بين تلك الأغاني كانت أغنية ألفتها شخصيا.

السماء عالية
الأرض فسيحة
فيما بعد، كن أكبر من السماء والأرض

تتضمن هذه الأغنية رغبتها العارمة في أن يكبر ليغدو عمادا للبلاد والأمة ورجلا مشهورا.

وفاء لرغبتها هذه، ترعرع جونغ سون بقوة ونشاط حاملا في قلبه الغايات الضخمة لتحرير الوطن.

توصية جدية

كان جونغ سون ماهرا في الغناء ومولعا بالقراءة منذ طفولته.

كلما عاد أبوه كيم هيونغ جيك إلى البيت أثناء عمله معلما في مدرسة سونهوا، كان يناديه أولا وقبل غيره.

آنذاك، ما لبث جونغ سون أن أجابه «أجل!» وركض نحوه وإن كان منهمكا في اللعب الشيق مع زملائه.

طلب أبوه منه إنشاد الأغنية التي علمه إياها، قائلا إنه لن يستطيع أن يكون رجلا عظيما فيما بعد إلا عندما يطيع للكبار ويحب ويلاطف الزملاء.

في كل مرة من ذلك، تقدم جونغ سون إلى الأمام يغني الأغنية بصوت عال يهز أركان البيت:

نم، يا صغيري
قريبا ستذهب إلى المدرسة الابتدائية
نم، يا صغيري
الثانوية بانتظارك والكلية
ستحمل شهادة الدكتوراه
وتصبح مشهورا
كن بطلا قوميا
ولتبن بلدنا من جديد
نم، يا صغيري
...

في حين انتهاء الغناء، سأله أبوه كيف عليه أن يفعل ليكون بطلا، فأجابه بصوت عال أنه لن يسعه أن يكبر ويصبح بطلا إلا إذا انصاع لوالديه وتعلم بجد واجتهاد لغتنا المنطوقة والمكتوبة.

صدى في جبل مانكيونغ

في ربيع عام ١٩١٨، عادت كانغ بان سوك مع ابنها إلى مانكيونغداي من قرية بونغهوا.

سألها جونغ سون عدة مرات في اليوم الواحد كم من الليالي يجب أن ينامها حتى يعود أبوه، حنينا إليه وقد اعتقلته الشرطة الإمبريالية اليابانية بسبب حادثة جمعية المواطنين الكوريين.

أجابته الأم في كل مرة بأنه يقاتل رجال الشرطة اليابانية وسيعود سالما غانما عما قريب، ثم غيرت دفة الحديث.

كانت جمعية المواطنين الكوريين منظمة سرية مناهضة لليابان شكلها أبوه كيم هيونغ جيك في ٢٣ آذار/ مارس عام ١٩١٧.

ناضلت هذه المنظمة بهدف تحقيق استقلال البلاد بالقوة الذاتية لشعبنا المتحد ككل واحد، وبناء الدولة المتحضرة الحقيقية، إلا أنه انكشف بعض المنظمة في خريف ذلك العام حتى اعتقل أبوه مع أكثر من ١٠٠ عضو من أعضائها.

في مساء أحد الأيام، صعدت كانغ بان سوك مع ابنها إلى موقع الأرجوحة على جبل مانكيونغ.

كان ذلك اليوم أقمر بشكل استثنائي منذ أول الليل.

قعدت كانغ بان سوك على الأرجوحة، وأجلس ابنها على ركبتيها وقالت بصوت خافت:

- اسمع يا صغيري جونغ سون(اسم الرئيس كيم إيل سونغ الآخر في طفولتهم)، لقد ذاب الجليد في نهر دايدونغ، وبدأت الأشجار تكتسي بالخضرة، ولكن أباك لم يعد. إنه في السجن لأنه ناضل من أجل استقلال وطنه. أريدك أن تكبر بسرعة لتنتقم لوالدك .

استمع سونغ جو إليها ورد عليها بنبرة حازمة:

ـ يا أماه، سأنتقم لوالدي حتما وأستعيد البلاد عندما أكبر.

داعبت الأم رأسه وهي تقول: عندما تكبر، عليك أن تصير بطلا يستعيد البلاد. أنا أيضا أثق بك مثل أبيك.

كرر جونغ سون عزمه متطلعا إلى أمه على أن ينتقم حتما لوالده بعد أن يكبر سريعا.

نزلت الأم من الأرجوحة وأحلت ابنها مكانها، ثم أخذت تغني وهي تدفعه بخفة.

رجع جونغ سون أيضا غناءها في صوته. ترددت أصوات غنائهما في السماء الليلية على جبل مانكيونغ الذي عمه السكون والهدوء.

تعليم الأغنية في موقع المطالعة

غادر كيم سونغ جو(اسم الرئيس كيم إيل سونغ في طفولته) باتاوكو إلى مانكيونغداي بقطع الطريق الممتد إلى أكثر من ألف ري بمفرده وهو في العقد الثاني من عمره وفاء للغاية العميقة لوالده الذي قال «إن الإنسان يجب أن يعرف بلده جيدا أولا وقبل كل شيء»، وبعدها، التحق بالسنة الخامسة في مدرسة تشانغدوك أثناء إقامته في بيت جده لأمه في تشيلكول.

كان موقع المطالعة في الجبل الخلفي لتلك المدرسة حيث قرأ الكتب وقام بمراجعة الدروس وتحضيرها بدافع من الحماسة وروح الاستطلاع التي لا تكل، كما أخبر زملاءه بمضامين الكتب والقصائد التي قرأها.

ذات يوم، صعد إليه معهم وقال لهم إنه سيعلمهم «أغنية الروح».

صفقوا جميعا مهللين.

غنى أولا فاصلة من الأغنية فرددوها:

واحسرتاه، أيتها الأمة الكورية
كيف جرى اليوم هذا الأمر البائس

للدولة التاريخية التي عاشت بسعادة جيلا بعد جيل
لأكثر من ٤ آلاف سنة
اقطعوا بأيديكم الأغلال الحديدية
التي تكبلني
أطلقوا هتافات الحياة المدوية بالاستقلال
حتى يفور البحر الشرقي ويهتز الجبل
...

من خلال تعلم الأغنية، عقدوا عزما على استعادة البلاد المغتصبة.

المعارف الوافرة

حين كان كيم سونغ جو يدرس في مدرسة تشانغدوك، تلقى زملاؤه مساعدة كثيرة منه في دراستهم.

في حصة الدروس في أحد الأيام، أصبحوا يحلون مسألة التطبيق الحسابي بشأن أعلى جبل ما بين جبلي بايكدو وكومكانغ في ضوء ارتفاع كذا وكذا لكل منهما.

عندما أنهوا حل المسألة، سألهم سونغ جو عن مكانهما.

رآهم لا يردون على سؤاله فقد رسم خريطة بلادنا على السبورة وعلمهم مشيرا إليها وهو يقول:

هذه أرض بلادنا. يقع جبل بايكدو في شمال بلادنا وهو أعلى جبالها حيث مختلف أنواع الأشجار والحيوانات والطيور كثيرة. إلا أن كل هذه تداس بقباقيب الأوغاد اليابانيين. نفس الشيء ينطبق على جبل كومكانغ خلاب المناظر الطبيعية. لذا، يتعين علينا استعادة هذين الجبلين مهما كلف الأمر. عندئذ، يمكننا أيضا أن نذهب جميعا إلى جبل بايكدو وجبل كومكانغ.

بعـد أن سـمع الطـلاب منـه هـذا الـكلام، لـم يتمالكـوا أنفسـهم مـن شـدة الأسـف والغضـب علـى اغتصـاب أرض الوطـن الجميلـة علـى يـد الإمبرياليـة اليابانيـة.

أكـد سـونغ جـو لهـم علـى وجـوب الدراسـة بجـد واجتهـاد مـن أجـل اسـتعادة البـلاد السـليبة وعلمهـم الأغنيـة التـي تلقنهـا مـن والـده.

لا يلمع حتى الماس
عند عدم تشذيبه
لا تظهر الفضيلة الصادقة للإنسان
إلا بعد استيعابه العلم
...

راح الطلاب يتعلمون الأغنية بحماسة.

فيمـا بعد، كلمـا غنـوا هـذه الأغنيـة، نبههـم سـونغ جـو إلـى أن مـن يقتـل الوقـت عبثـا يصـل إلـى الجهالـة ومـن يـدرس باجتهـاد موفـرا الوقـت يـؤدي إلـى المعـارف الوافـرة، وأن المعـارف هـي النـور وبالمقابـل، الجهـل هـو الظـلم.

«أغنيـة نـهر آمروك»

قـال كيـم هيونـغ جيك لابنـه منذ زمـن بعيد إن مـن ولـد فـي كوريـا عليـه أن يعرفهـا جيدا ومـا هـو سـبب دمارهـا، ويـرى بـأم عينيـه الحيـاة البائسـة التـي يعيشـها شـعبنا.

وفاء تاما لغايته، جاء كيم سونغ جو إلى الوطن ودرس في مدرسة تشانغدوك.

ذات يـوم فـي كانـون الثانـي/ ينايـر عـام ١٩٢٥، سـمع مـن جـده لأمـه خبـرا مفاجئـا بـأن والـده اعتقلتـه الشـرطة الإمبرياليـة اليابانيـة مـن جديـد.

غـادر كيـم سـونغ جـو مانكيونغـداي، مسـقط رأسـه وهـو فـي حـدود العاشـرة مـن عمـره، عاقـدا العـزم الراسـخ علـى النضـال حتـى الرمـق الأخيـر للانتقـام مـن أعـداء أبيـه وأسـرته فـي مانكيونغـداي وأمتنـا الكوريـة.

وصـل إلـى بوبيونـغ بعـد ١٣ يومـا بركـوب القطـار إلـى كايتشـون، ثـم بالمشـي علـى رجليـه، ووضـع قدميـه بتثاقـل علـى جليـد نهـر آمـروك وأطـراف بدلتـه تتطايـر مـع الريـاح.

إلا أنـه لـم يكـن قـادرا علـى التقـدم خطـوة واحـدة وهـو يفكـر متـى يسـتطيع أن يعبـر هـذا النهـر عائـدا إذا ودع الوطـن الآن.

استدار إلى الوراء والتقط حصاة من ضفة النهر.

كان يريد أن يحمل ويحفظ بعناية أي شيء من الوطن يذكره به فيما بعد.

راح يخطـو ببـطء نحـو ضفـة النهـر الأخـرى وهـو ينشـد فـي نفسـه «أغنيـة نهـر آمـروك» التـي لا يعـرف مـن نظمهـا.

في أول آذار/ مارس عام ١٩١٩
عبرت نهر آمروك.
سيتكرر هذا اليوم كل سنة،
ولكنني لن أعود
قبل أن أحقق هدفي.
...

فيمـا قلبـه يمـور بالسـخط والأحـزان، جـال بنظـره مـرات عديـدة علـى أرض الوطـن وصـاح فـي سـره: كوريـا، سـأغادرك يـا كوريـا. ومـع أننـي لا أسـتطيع العيـش لحظـة واحـدة بعيدا عنـك، فإننـي أعبـر نهـر آمـروك لأسـتردك. علـى الضفـة الأخـرى للنهـر تمتـد أرض غريبـة، سـأذهب إليهـا، ولكننـي لـن أنسـاك يـا كوريـا، فانتظرينـي.

كتـب الرئيـس كيـم إيـل سـونغ فـي مذكراتـه «فـي دوامـة القـرن» كمـا يلـي قائـلا إنـه بعـد ذلـك أنشـد «أغنيـة نهـر آمـروك» مـن جديـد:

«فيمـا كنـت أردد الأغنيـة، تسـاءلت فـي نفسـي متـى سأسـتطيع أن أطـأ هـذه الأرض مـرة ثانيـة، ومتـى أعـود إلـى هـذه الأرض التـي نشـأت فيهـا والتـي تضـم قبـور أجـدادي؟ وإذ راودتنـي هـذه الفكـرة لـم أسـتطع أن أكتـم حزنـي رغـم صغـر سـني. فـي تلـك اللحظـة، وبينمـا أنـا أتصـور واقـع الوطـن المأسـاوي، حزمـت أمـري بعـدم العـودة إلـى كوريـا إلا بتحقيـق اسـتقلالها.»

على طريق النضال الثوري المرير المناهض لليابان

«أغنية كوريا»

فـي كانـون الثانـي/ ينايـر عـام ١٩٢٧، التحـق القائـد كيـم إيـل سـونغ بمدرسـة يووين الثانويـة فـي جيلـين وبالارتـكاز عليهـا، قـام بالنشـاطات الثوريـة الأكثـر نشـاطا فـي المناطق الواسـعة المحيطـة بجيلين.

حـدث هـذا الأمـر فـي أحـد أيـام أوائـل كانـون الثانـي/ ينايـر عـام ١٩٢٨، حيـن كان يقـوم بالنشـاطات الثوريـة فـي فوسـونغ بعـد مجيئـه إليهـا فـي فتـرة العطلـة الشـتوية.

بعـد أن خطـط منـذ زمـان لإبـداع أغنيـة يمكـن أن تسـهم فـي غـرس الوطنيـة وإنمـاء الإرادة لاسـتعادة البـلاد المغتصبـة فـي قلـوب الناشـئة الكورييـن الذيـن ولـدوا ويترعرعـون فـي أرض غريبـة الجبـال والأنهـار، كان يصـب كل طاقتـه فـي تأليفهـا وتلحينهـا.

أخيـرا، أبـدع الرائعـة الكلاسـيكية الخالـدة «أغنيـة كوريـا» باسـتخدام الأرغـن فـي مدرسـة بايكسـان.

انتشرت الأغنية على نطاق واسع عبر جريدة «ساينال» التي أسسها بنفسه.

دعـا القائـد كيـم إيـل سـونغ إلـى الإسـراع بالتمريـن علـى أداء «أغنيـة كوريـا» لتقديمهـا.

وعلمهم شخصيا هذه الأغنية:

اسم بلدي كوريا
لأن صباحها جميل

لن نجد في الدنيا

بلدا مثل بلدي العظيم والجميل

...

في وقت لاحق، أصبحت الرائعة الكلاسيكية الخالدة «أغنية كوريا» دائما عملا رئيسيا في برنامج العرض لفرقة الدعاية الفنية.

«نجم كوريا»

في مساء أحد أيام تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٢٨، عقد اجتماع أعضاء المنظمة الثورية بحضور أكثر من ١٠ أشخاص مثل كيم هيوك، وتشا كوانغ سو وتشواي تشانغ كول، الذين اشتركوا في المظاهرة ضد بناء الإمبريالية اليابانية لسكة حديد جيلين - هوايريونغ.

تبادلوا التحية وهم يصافحون بعضهم بعضا بحفاوة ويحركون أيديهم بقوة.

بعد هنيهة، نهض كيم هيوك من مقعده وقال بصوت منفعل بخلاف عادته وهو يدور ببصره في أعضاء المنظمة المجتمعين في الغرفة:

- أيها الرفاق، لنتعلم أغنية «نجم كوريا» من الآن.

هذه الأغنية من إبداعنا عن طريق جمع ذكائنا وليس من إبداع أي شاعر أو موسيقي مشهور. لذا، لا بد أن تشوبها النقاط الفجة. إلا أن هذه الأغنية تعبر عن السرور والفخر اللامتناهي لنا، نحن الشيوعيين الشباب الذين حظوا بقائدنا هانبيول كنجم هاد للثورة الكورية.

لنغن الأغنية بدافع من هذا الفرح والمجد اليوم الذي استقبل فيه أبناء شعبنا نجما هاديا ساطعا، بعد أن هاموا على وجوههم تحت السماء الليلية الداكنة وهم يذرفون دموع الدم. ...

راح كيم هيوك العاطفي والحماسي أكثر من غيره يقرأ كلمات الأغنية بانفعال كما يرتجل الشعر وقد تخضب وجهه بالحمرة.

أثار صوته المتهدج من شدة التأثر وجدان الشيوعيين الشباب.

بعد أن قرأ كيم هيوك كلمات الأغنية، عزف لحنها على المزمار طالبا منهم الاستماع إلى الأغنية، ثم أنشدها مجددا بصوت عال.

تعلم الشيوعيون الشباب الغناء تبعا لإنشاده المقدم.

عندما أخذوا جميعا، بعد تعلم الغناء، يتبادلون الحديث حول دلالة الأغنية، مفعمين بالابتهاج، حدثهم تشا كوانغ سو عن قصة جديدة حتى لا يتمالكوا أنفسهم من شدة التأثر.

أخبرهم بأن القائد كيم إيل سونغ أبدى غضبه بعد سماعه هذه الأغنية وهو يسأل أين القانون الذي يسمح بإبراز الشاب على هذا النحو، وقال بجدية:

- ... لم نخالف قط أوامر الرفيق هانبيول ولو مرة واحدة، لأننا قررنا عن طيب خاطر اتخاذه قائدا للثورة ومحورا وحيدا للوحدة والتلاحم.

بيد أننا لا نستطيع قبول طلبه بعدم إنشاد «نجم كوريا».

أيها الرفاق، فكروا.

لماذا باء الشيوعيون والوطنيون الكوريون في الماضي بالإخفاقات الفظيعة المتكررة فقط، على الرغم من تضريج أراضي البلاد كلها بالدماء الحمراء.

ذلك لأنهم كانوا يفتقرون إلى قائد حكيم ينير طريق التقدم الصائب للثورة ويقود الجماهير إلى النصر بجمع شملها في قوى متماسكة واحدة. لم يكن لديهم محور التلاحم وإن طمحوا إليه، ولم يستطيعوا أن يبحثوا عن طريق مستقيم وإن كانوا راغبين في التقدم إلى الأمام. ولكن بزغ الفجر أخيرا على أرض الوطن التي كانت تئن تحت الظلم. ظهر قائد ينير طريق تقدمنا كنجم الصبح المتألق في سماء الليل.

ها هو بالذات الرفيق كيم سونغ جو الذي نتطلع إليه ونتبعه جميعا. هو تحديدا نجم الصبح لكوريا الذي سيجلب صباحا جديدا لتحرير الوطن.

لذا، قررنا، قبل فترة وباسم المنظمة، اتخاذ الرفيق كيم سونغ جو محورا أبديا للوحدة المتلاحمة وتسميته بالرفيق هانبيول.

كما تبنينا كقرار للمنظمة مسألة تحديد أغنية «نجم كوريا» التي أبدعها الرفيق كيم هيوك تعبيرا عن تطلعات وأمنية شعبنا كأغنية تمجيد ثورية خالدة ونشرها على نطاق واسع.

في معرض قوله هذا، دعا الجميع إلى إنشاد أغنية التمجيد الثورية الخالدة «نجم كوريا» بملء حناجرهم، موطدين العزم على العودة المظفرة إلى الوطن حتما بقيادة الرفيق هان بيول.

في تلك اللحظة، استجاب جميع الشيوعيين الشباب لندائه بالتصفيق الحماسي كما لو أنهم تعهدوا بذلك.

بدأ أولئك المشاركون في الاجتماع ذلك اليوم بنشر هذه الأغنية على نطاق واسع تنفيذا للمهام التي كلفتهم بها المنظمة.

كتب الرئيس كيم إيل سونغ في مذكراته «في دوامة القرن» كما يلي عائدا بذاكرته إلى ذلك الحين :

«قام كيم هيوك بنشر تلك الأغنية في منطقة جيلين بعدما ناقش الأمر مع تشا كوانغ سو وتشوأي تشانغ كول خلسة مني. حينذاك، أنبته بصرامة لأنه يشبهني بنجم الصبح ويؤلف أغنية في ذلك.»

على الرغم من ممانعة القائد كيم إيل سونغ، ترددت أغنية التمجيد الثورية الخالدة «نجم كوريا» بقوة مع مرور الأيام.

إنشاد الأغنية على متن العربة التي تجرها الخيول

ذات يوم من أوائل آب/ أغسطس عام ١٩٢٨، انطلق القائد كيم إيل سونغ إلى قرية داهوانغكو بصحبة أكثر من ١٠ أعضاء للمنظمة الثورية مثل كيم هيوك وكيم لي كاب وأفراد فرقة الدعاية الفنية.

عند وصول القافلة إلى قرية كانغدونغ، أضيفت إليها عربة كبيرة تجرها ثلاثة خيول.

ركبها أفراد فرقة الدعاية الفنية ومعهم الطبول الصغيرة والهرمونيكا، بينما جلس القائد كيم إيل سونغ في مؤخرة العربة مع أعضاء اتحاد الشباب الشيوعي.

بعد أن قطعت العربة الطريق لمسافة معينة، حذر القائد كيم إيل سونغ أفراد فرقة الدعاية الفنية من وقوع الحادث، وطلب منهم إنشاد الأغنية بمرح ونشاط والعزف على الآلات الموسيقية في مثل هذا اليوم الجميل.

نهض كيم هيوك المتحمس سريعا على متن العربة السائرة، وجال ببصره هنيهة على المناظر الطبيعية، ثم بدأ يتلو شعرا ارتجاليا يتغنى بالوطن تعبيرا عن مشاعره حتى أثر تأثيرا بليغا في جميع أفراد فرقة الدعاية الفنية.

دخلت العربة أخيرا الدرب الذي يشق السهل الفسيح المترامي الأطراف عبر الممر الجبلي.

في تلك اللحظة، أطلق أفراد فرقة الدعاية الفنية صيحات التهليل في وقت واحد كما لو أنهم تعاهدوا بذلك، لأن قرية داهوانغكو لاحت أمام أعينهم.

آنذاك، قال القائد كيم إيل سونغ بانفعال:

- يا له من طريق المسيرة المفرح. هذا الطريق مرتبط بطريق مسيرة عميق الدلالة يؤدي إلى الوطن الذي تغنى به الرفيق كيم هيوك. يتعين علينا قطع طريق

المسيرة هذا باندفاع متواصل مهما كلف الأمر إلى أن ننتهي منه في أرض الوطن.

أيها الرفاق، لننشد أغنية الثورة بقوة لأننا على وشك الوصول إلى «موقع المعركة».

فور انتهاء قوله، بادر كيم هيوك الآخرين إلى إنشاد الأغنية، وتلاه جميع أفراد فرقة الدعاية الفنية يرددون «أغنية الثورة» بقوة، ملوحين بقبضاتهم.

نحن اللهيب المتأجج في العالم كله
نحن المطارق نحطم القيود
آمالنا في الراية الحمراء
شعارنا هو النضال
ستخمد صيحاتكم للنهب والجشع
أنتم يا مصاصي دمائنا
في المعركة الحاسمة الضارية
صفوفنا متراصة قوية
...

سار أفراد فرقة الدعاية الفنية سريعا حتى وصلوا مع القائد كيم إيل سونغ إلى قرية داهوانغكو بعد ظهر ذلك اليوم بقليل، حيث ألقوا المحاضرات وقدموا العرض الفني لفرقة الدعاية الفنية في المدرسة الابتدائية للكوريين لاستنهاض أهاليها إلى النضال ضد اليابان.

تعليم «أغنية الحنين إلى الموطن»

ألف القائد كيم إيل سونغ الرائعة الكلاسيكية الخالدة «أغنية الحنين إلى الموطن» في الفترة الأولى لنشاطاته الثورية .

في مساء أحد أيام الخريف عام ١٩٣٠، أتيحت لأعضاء المنظمة الثورية فرصة قضاء الليلة مع القائد كيم إيل سونغ في مدرسة سامسونغ بووتشازي.

في تلك الليلة، بدت أضواء القمر نيرة بشكل استثنائي عبر النافذة.

عندما كان جميع أفراد المنظمة الثورية يتطلعون إلى القمر المنير حنينا إلى مسقط رؤوسهم، راح القائد كيم إيل سونغ ينشد «أغنية الحنين إلى الموطن» بصوت خافت.

ازداد شوقهم إلى الوطن ومسقط الرؤوس عند سماعهم لغنائه.

اجتمعوا حوله واقترحوا عليه تعليمهم تلك الأغنية.

وافق القائد كيم إيل سونغ على اقتراحهم بسرور، مبديا رغبته في إنشاد الأغنية هذه الليلة معهم، ثم بدأ يغني «أغنية الحنين إلى الموطن» ببطء.

حينما غادرت مسقط رأسي
ودعتني أمي باكية أمام البوابة
ما زالت كلماتها ترن في أذني

على مقربة من بيتي يخرخر النهير
وجوه إخوتي الصغار الذين يلعبون
ما زالت تسبح حية أمام ناظري

مانكيونغداي في الربيع جميلة مع مياه نهر دايدونغ
الأراضي العزيزة لا تنسى حتى في الحلم
سأعود إليها في ذلك اليوم لاستعادتها

ردد أعضاء المنظمة الثورية الأغنية مرتين وثلاث تبعا لغنائه المقدم.

في ذلك اليوم، روى القائد كيم إيل سونغ لهم مختلف القصص عن الوطن الأم ومسقط رأسه مانكيونغداي.

فلم يخلدوا جميعا للنوم متصورين ذلك اليوم الذي سيعودون فيه إلى مواطنهم العزيزة بعد طرد الإمبريالية اليابانية وقد سيطرت عليهم المشاعر الجليلة.

«بائعة الأزهار»

أوضح القائد كيم إيل سونغ مبادئ فكرة زوتشيه وطرح الخط المستقل للثورة الكورية في الاجتماع الذي عقد في كارون في الصيف، أي حزيران/ يونيو عام ١٩٣٠.

وبعدها وفي أوائل خريف العام نفسه، جاء إلى ووتشازي أثناء قيامه بالنشاطات الثورية لتنفيذ مناهج اجتماع كارون.

في مساء أحد الأيام، استدعى القائد كيم إيل سونغ عددا من كوادر اتحاد الشباب واتحاد الفلاحين في ووتشازي إلى غرفة المعلمين في مدرسة سامسونغ، حيث قال لهم إننا اجتمعنا لمناقشة مسألة الاحتفال بيوم ذكرى ثورة أكتوبر بمناسبة حلوله قريبا.

إلا أن أحدا منهم لم يقدم رأيه، بل تطلعوا إليه بانتظار حديثه عن خطته الناضجة.

بعد برهات، أشار إلى ضرورة تحويل يوم ذكرى الثورة إلى مجال لتثقيف الجماهير، مضيفا أن ذلك يحتاج أيضا إلى تقديم العرض الفني الذي يمس شغاف

قلوب الجماهير، وأنه ظل يفكر في الأوبرا المسماة بـ «بائعة الأزهار»، وأبدى إرادته لإعلامهم عن حبكة قصتها.

لم يتمالكوا أنفسهم من شدة التأثر والانفعال إثر سماعهم لها.

بعد أن حظي بتأييدهم، أسرع في تأليف نص الأوبرا الثورية «بائعة الأزهار» من الروائع الكلاسيكية الخالدة، فلم يطفأ الضوء ليلا في بيت الفلاح البسيط الذي كان يقيم فيه.

وفي مساء أحد الأيام، اختتم القائد كيم إيل سونغ اجتماع أفراد الجيش الثوري الكوري وعرض نص الأوبرا عليهم، داعيا إياهم إلى مناقشة مسألة أخرى.

كان غلافه مكتوبا بـ «بائعة الأزهار» بخط قوي.

قرأ أحدهم نص الأوبرا، بينما اغرورقت أعين الآخرين بالدموع.

بعد انتهاء قراءته، سألهم القائد كيم إيل سونغ عن آرائهم.

أجابوا مهللين بأن العمل رائع جدا.

آنذاك، قال إننا نرى الآن في كل مكان من أرض الوطن كثيرا من الأولاد الذين يقعون في حالة بائسة مثل الصبية قوتبون، فإن النوم يجافيه كلما يفكر في أولئك المتشردين.

ثم، اقترح عليهم بدء التمرينات بعد اختيار الشخوص حالا.

لذا، بدأت التمرينات على عرض الأوبرا من اليوم التالي.

بعد مرور عدة أيام، جاء القائد كيم إيل سونغ إلى مدرسة سامسونغ ليشاهد بروفة الأوبرا الثورية «بائعة الأزهار».

في ذلك اليوم، أعطى تعليمات مفصلة بشأن غناء وتمثيل الممثلين بمجملهما.

على الأخص، صحح الأخطاء المتعلقة باللباس قائلا إن بطلة العمل قوتبون صبية فقيرة تعيش في حزن وهي تلعن العالم البغيض بعد فقدان أبويها على يد العدو، لذا، فمن الضروري أن يتوافق مظهر لباسها مع وضع حياة الشخصية. عندئذ فقط، يمكن إبراز طابع تلك الشخصية عيانيا. وأضاف:

- لباس قوتبون الفقيرة والبائسة هزيل ومهترئ بما لا يقارن مع لباسها الحالي.

بفضل توجيهاته الحماسية والدقيقة، تم إكمال الأوبرا الثورية «بائعة الأزهار» لتصبح عملا رائعا ذا مستوى فكري وفني رفيع.

أخيرا، أقبل يوم عرضها.

كتب الرئيس كيم إيل سونغ في مذكراته «في دوامة القرن» كما يلي مسترجعا ذكرياته المؤثرة عن ذلك الحين:

«نظمنا في ووتشازي فرقة الدعاية الفنية. ...

انكببت في هذا الوقت على إكمال تأليف أوبرا ‹بائعة الأزهار› التي شرعت في كتابتها أثناء مرحلة جيلين. وقد أجريت تجارب عديدة على هذا النص. وعندما أكملت تأليفه، بدأ كي يونغ تشون بإجراء التمرينات عليه مع أعضاء الفرقة الفنية في مدرسة سامسونغ.

وفي يوم الذكرى الثالثة عشر لثورة أكتوبر، عرضنا هذه الأوبرا في قاعة المحاضرة بمدرسة سامسونغ.»

ذات يوم من تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩٣٠، تقاطر أهالي ووتشازي إلى مدرسة سامسونغ بلا انقطاع منذ باكورة الصبح، فضلا عن عدد كبير من سكان القرى المجاورة.

استهلت الفعاليات أخيرا بينما لم يتمالكوا جميعا أنفسهم من الدهشة والسرور وهم يشاهدون البوابة والفوانيس الاحتفالية وقاعة المحاضرة المزدانة بصورة فاخرة.

اعتلى القائد كيم إيل سونغ المنبر وسط هتافات الحضور، وألقى كلمة قام فيها بتحليل الأهمية التاريخية لثورة أكتوبر والوضع الدولي والمحلي في ذلك الحين ودعا شعبنا إلى الحرب المقدسة ضد اليابان.

بعد انتهاء كلمته وسط صيحات التهليل الحماسية للجماهير، قدم «جمباز الأزهار» في قاعة المحاضرة وتلته الفقرات المتنوعة من العرض الفني قبل أن يبدأ عرض الأوبرا الثورية «بائعة الأزهار» من الروائع الكلاسيكية الخالدة.

ظهرت الصبية الفقيرة قوتبون في المسرح منتعلة الصندل القشي على البلوزة البيضاء الرثة والتنورة السوداء وفي يديها سلة الزهور، وراحت تغني بصوت شجي وحزين:

اشتروا الأزهار.. اشتروا الأزهار ..
جميلة حمراء أزهاري
جميلة حمراء عاطرة أزهاري
اشتروا الأزهار.. اشتروا الأزهار..
حمراء أزهاري
لها كل حبي واهتمامي
أبيعها لأشتري الدواء لأمي المريضة

براعم الأضاليا الجميلة
في أسفل الجبل تتفتح
أزهار المشمش الزعفراني القرنفلي
في أسفل الجبل تنمو
اشتروا الأزهار.. اشتروا الأزهار.. أزهاري
عندما تحمل هذه الأزهار...
يدخل الربيع حتى إلى القلب الموجوع

ذرف المتفرجون دموعا وهم يشاهدون قوتبون التي تتعرض للاحتقار والإذلال أثناء بيع الأزهار، والوضع البائس لأفراد أسرتها مثل أختها العمياء، وأخيها الذي يتم اعتقاله وأمها التي تفارق الدنيا.

إلا أن المكان اهتز بالتأثر والانفعال في المشهد الأخير الذي تنثر فيه قوتبون

التـي كانـت تتضـور حزنـا علـى مصيـر حرمانهـا مـن البـلاد، بـذور أزهـار الثـورة فـي نفـوس أبنـاء الشـعب المظلوميـن والمضطهديـن، سـائرة وراء أخيهـا، عضـو الجيـش الثـوري الكـوري الـذي أرسـله القائـد كيـم إيـل سـونغ.

بعـد انتهـاء عـرض الأوبـرا، صعـد القائـد كيـم إيـل سـونغ علـى المسـرح وسـط التصفيقـات الحماسـية وألقـى كلمـة مفادهـا أن الفقـراء الذيـن يتعرضـون للاسـتغلال والاضطهـاد يجـب أن ينطلقـوا إلـى طريـق الثـورة مثـل قوتبـون متحديـن ككيـان واحـد ليسـترجعوا الوطـن السـليب بعـد طـرد الإمبرياليـة اليابانيـة.

مـا إن أنهـى القائـد كيـم إيـل سـونغ كلمتـه حتـى رددت الجماهيـر شـعار «عاشـت الثـورة الكوريـة!» بمـلء أصواتهـا متطلعيـن إليـه كمـا لـو أن صرخاتهـم تهـز أرجـاء المـكان.

هكـذا، فـإن الأوبـرا الثوريـة «بائعـة الأزهـار» مـن الروائـع الكلاسـيكية الخالـدة أصابـت أهالـي ووتشـازي بصدمـة كبيـرة.

أغنية «الجيش الثوري الشعبي الكوري»

كان ذلـك فـي أحـد أيـام آذار/ مـارس عـام ١٩٣٤ بعـد أن شـكل القائـد كيـم إيـل سـونغ الجيـش الثـوري الشـعبي الكـوري بإعـادة تحويـل الهيـكل التنظيمـي لجيـش حـرب العصابات المناهـض لليابان.

عندمـا اجتمـع أفـراد هيئـة القيـادة فـي مـكان واحـد، عـرض القائـد كيـم إيـل سـونغ دفتـر جيـب أمامهـم.

فوجـئ جميـع أفـراد القيـادة بتأليفـه الأغنيـة العسـكرية سـريعا خـلال وقـت قصيـر، فلـم يسـتطيعوا أنفسـهم مـن شـدة الإعجـاب وهـم يمسـكون فـي أيديهـم دفتـر الجيـب المفتـوح المـدون بكلمـات الأغنيـة التـي كتبهـا بخـط يـده الشـهم.

الجيش الثوري الشعبي الكوري

١- نحن أفراد الجيش الثوري الشعبي الكوري،
مقاتلون حمر يناضلون من أجل الثورة
برنامج نضالنا عادل
فلنناضل بقوة لتنفيذه

٢- الإمبرياليون اليابانيون اللصوص احتلوا كوريا
للحفاظ على الحكم الاستعماري
أرسلوا القوات الضخمة البرية والبحرية والجوية
ويبنون المنشآت العسكرية الكثيرة

٣- المنشآت والقوات العسكرية المعادية
تقتل جماهير البروليتاريا
فلنطرد القوات البرية والبحرية والجوية للأعداء
ولنحطم منشآتهم العسكرية الكثيرة

٤- الحكام الإمبرياليون اليابانيون الفاشيون
بنوا كثيرا من السجون
وشكلوا جيوش الكلاب المختلفة
كأداة لقمع جماهير البروليتاريا

٥- لنكشف عدم المساواة في المجتمع واضطهاد الشعب
أمام جنود جيش منشوكو العميل

لكي يتخلوا عن الجندية للعبيد بلا وطن
ويخرجوا عنها بإعلان التمرد

٦- الإمبرياليون اليابانيون الشرسون والماكرون
طبخوا القوانين العديدة
ويجبون الضرائب المتنوعة
كنفقات عسكرية لذبح جماهير البروليتاريا

٧- يفرضون التعليم العبودي في كل مكان
بغرض سحق جماهير البروليتاريا
يجبرون الشعب على تعلم اللغة اليابانية
سعيا وراء تخدير أفكاره

٨- يلجأ العدو إلى الاضطهاد الشرس كالوحوش
فلنوجه النداء إلى الجماهير
لنسحق نظام الحكم الفاشي للإمبريالية اليابانية
بانطلاقنا كرجل واحد

سرعان ما انتشرت أغنية «الجيش الثوري الشعبي الكوري» في صفوف الجيش كله حتى أصبحت أغنية عسكرية ثورية تحظى بحب أفراد جيش حرب العصابات المناهض لليابان.

«أنشودة الحرب ضد اليابان»

في النصف الثاني من كانون الثاني/ يناير عام ١٩٣٥، دهم الخطر المباغت على الصفوف بقيادة القائد كيم إيل سونغ في منتصف الحملة إلى منشوريا الشمالية، إذ أصيب القائد كيم إيل سونغ بالحمى، إضافة إلى مطاردة القوات الضخمة المعادية لهذه الصفوف القليلة الأفراد.

أصبح القائد كيم إيل سونغ الذي يحمل على عاتقه أعباء الثورة الكورية الثقيلة، طريح الفراش بالمرض في عمق الجبل غير المأهول مما أوقع المقاتلين في حالة من الحيرة والاضطراب.

أشهقوا بالبكاء وهم يهزونه بلهفة لإيقاظه من الغيبوبة.

أراد القائد كيم إيل سونغ أن يمنعهم من البكاء، إلا أنه لم يستطع من شدة الإعياء، وما لبثت الغيبوبة أن عاودته مرة أخرى فلم يعد يشعر بشيء على الإطلاق.

وحين صحا في صباح اليوم التالي، متخلصا من السبات، وجد الزلاجة مركونة في بقعة خلاء في جوف الغابة وستة عشر من رفاق السلاح متهالكين على الأرض فيما حولها.

انقلب الأمر رأسا على عقب فقد اضطر إلى مؤاساتهم. لكنه وجد نفسه خائر القوى وعاجزا عن تحريك إصبع واحد من أصابعه وعاد يسبح في سديم من أحلام اليقظة مرة أخرى.

حينذاك خطرت في باله فكرة أن بقاءنا في ذلك المكان مستسلمين للقدر، سيسبب الحزن لشعبنا الذي يعقد علينا الآمال في انبعاثه، وأن حزن شعبنا يعني سعادة الإمبريالية اليابانية، ونكبة شعبنا هي بهجة لهذا العدو، وأن من سيسعدهم سقوطنا وعدم قدرتنا على النهوض هم الأثرياء والعسكريون اليابانيون.

فتناول حفنة من الثلج ودلك بها جفونه التي كانت تتهدل بتثاقل، وجمع بحزم أفكاره المشتتة.

إن اندثار الجيش الثوري مدفونا تحت ثلوج تيانتشياولنغ سيعني مضاعفة الإمبرياليين اليابانيين قمعهم للشعب عشرة أو مئة ضعف.

فكر في أنه حتى لو أطبقت السماء على الأرض، يجب أن نبقي أحياء مهما كان الثمن لكي نواصل الثورة. إذا لم نعد أحياء إلى منشوريا الشرقية، فمن هو الذي سيقوم بالمهام الكثيرة التي تنتظرنا هناك؟ إذا انهرنا هنا، فإن شعبنا سيغدو عبدا للإمبريالية اليابانية إلى الأبد.

وفجأة جاءه إلهام الشعر، وهز أحد الجنود صغير السن، المنهار على الأرض قرب الزلاجة وأجلسه بجانبه، ثم أملى عليه كلمات الأنشودة ليدونها.

في البداية، راح القائد كيم إيل سونغ ينشدها مع هذا الجندي، ومن ثم أخذ بقية الجنود المطروحين أرضا ينهضون واحدا بعد الآخر، وينضمون إليهما في إنشادها.

كانت الرائعة الكلاسيكية الخالدة «أنشودة الحرب ضد اليابان» والتي خرجت إلى النور هكذا فكرا ثوريا وإيمانا للقائد كيم إيل سونغ، كما كانت سلاحا للنضال لإنماء الذكاء والإرادة الجريئة لدى المقاتلين.

واصلت الصفوف سلوك طريق المسيرة الدامية مع إنشاد هذه الأغنية بقوة.

تأثير الشعب بالأغنية

ذات يوم عام ١٩٣٥، وطأت قوات الحملة إلى منشوريا الشمالية بقيادة القائد كيم إيل سونغ أرض إيمو بعد عبور بحيرة جينغبوهو، حتى وجدت نفسها في مواجهة معاملة بالغة الفتور من لدن أصحابها، لأن الإمبرياليين اليابانيين دقوا الأسافين بين الشعب وجيش حرب العصابات.

فما إن دخلت قوات الحملة في القرية، حتى فر معظمهم مع أولادهم وهم يصرخون قائلين إن «الهونهوزي» (قطاع الطرق الحمر) قد وصلوا.

ولم يبق في القرية سوى الشيوخ والمرضى، ولكنهم اعتصموا في البيوت ولم

يخرجوا منها مرتعشين من الخوف.

أمر القائد كيم إيل سونغ المقاتلين بنصب الخيام في غابة قريبة من القرية والاستراحة هناك، ثم قام بجولة في القرية.

دخل إلى المدرسة الابتدائية فلم يجد هناك معلمين أو موظفين أو تلاميذ. لقد اختبأ الجميع.

حمل أرغنا إلى باحة المدرسة وبدأ ينشد أغنية «سوو» مع المقاتلين، مع العزف على الأرغن.

سوو محبوس في أرض البرابرة،
ولكنه لم يخضع.
في أرض سيونغنو المغطاة بالثلج والجليد
أمضى تسعة عشر عاما
يرعى الأغنام
في مكان شمالي ناء،
يطفئ العطش بالثلج،
ويخدع الجوع بقطعة صوف من اللحاف.
كان بالروح دائما في بلده هان،
ولكنه لم يستطع حتى الشيخوخة الرجوع إليه.
المحن والمصائب في الغربة
لم تستطع أن تحطم إرادته الحديدية.
ولكن قلبه كان يتألم
كلما سمع أنغام مزمار شجية
في هدأة الليل البارد
...

كما غنى القائد كيم إيل سونغ أغنية يانغ كوي فوي مع الجنود.

كان رجال الجيش الثوري الشعبي الكوري يتقنون جيدا أداء أغنيات شعبية من أغاني قومية هان أيضا. وكانت الأغنيتان معروفتين، وتحظيان بحب خاص بين كادحي الصين.

كتب الرئيس كيم إيل سونغ في مذكراته «في دوامة القرن» كما يلي راجعا بذاكرته بتأثر بالغ إلى ما حدث في أرض إيمو:

«عندما غنينا هذه الأغنية وأغنية يانغ كوي فوي مع العزف على الأرغن وسمعنا الناس، كان أول من خرج من المخابئ هم تلاميذ الصفوف العليا، واقتربوا منا بفضول ودهشة. ثم راحوا يغنون معنا على أنغام الأرغن. وبعد ذلك، بدأ المعلمون وسكان القرية الكبار يقتربون ويتجمعون حولنا.»

لقد أصيبوا بالدهشة لحقيقة أن رجال الحملة يغنون أغنيات صينية بطلاقة تامة، ولكنهم ربما شعروا بأي نوع من النقاط المشتركة القائمة بينهم وبين الجنود.

وهكذا فإن أولئك الناس الذين قابلوا رجال الوحدة في البدء بفتور بالغ، شرعوا ينظرون إليهم نظرات مليئة بالمودة والإعجاب.

وعندما تجمع كل سكان القرية الذين لاذوا بالفرار، ألقى القائد كيم إيل سونغ خطابا معاديا لليابان باللغة الصينية. وبعد سماع هذا الخطاب، أخذوا يفتحون قلوبهم شيئا فشيئا، ووجهوا إلى قوات الحملة عبارات المديح والإطراء قائلين إن «جيش كوريو الأحمر» ليس قطاع طرق أو من اللصوص الخيالة، وإنما هو جيش ثوري وطني حقيقي وجيش سادة أشراف.

إن أغنية «سوو» التي أنشدها القائد كيم إيل سونغ آنذاك مع الجنود عازفا على الأرغن، أدت إلى إذابة جليد سوء الفهم إزاء «جيش كوريو الأحمر» والذي كان سائدا حتى ذلك الحي الوطنية الغيورة والوعي الثوري في نفوس الصينيين بمنشوريا الشمالية.

«أغنية بحر الدم»

«أغنية بحر الدم» أغنية رئيسية للمسرحية الثورية «بحر الدم» نظمها القائد كيم إيل سونغ عند تأليفه نص هذه المسرحية.

تصور القائد كيم إيل سونغ فكرة مسرحية «بحر الدم» بعد اجتماع دونغكانغ المنعقد في أيار/ مايو عام ١٩٣٦، وبدأ كتابة السيناريو.

إبان نضاله المسلح المناهض لليابان، شاهد كثيرا الأهالي يعانون معاناة لا تصدق بسبب «التأديب» الذي يمارسه الجنود والشرطيون اليابانيون.

كانت تشينتاو بالصين قد تحولت إلى بحر من الدماء بكل ما في الكلمة من معنى، ولم تكن المجازر تتوقف فيها. ففي كل يوم، كانت السيوف والحراب تقتل عشرات، بل ومئات الأشخاص.

ومع ذلك، كان يشعر القائد كيم إيل سونغ بإعجاب وتقدير شديدين نحو الكوريين المقيمين في تشينتاو، ذلك أنهم لم يخضعوا لمصيرهم المأسوي، وإنما كانوا ينهضون في غالبيتهم المطلقة حاملين البنادق والهراوى لمواصلة المقاومة.

وقد شاركت في هذه المأثرة الوطنية النساء وكذلك الأطفال.

لقد هزت هذه الصور مشاعره. كانت ثورة تحررت فيها النساء من إطار الأسرة وشاركن في حركة تحول اجتماعي. وقد شعر باحترام وحب كبيرين نحوهن. وفي أثناء ذلك، أنضج في ذهنه صورة امرأة تطلع على خبر استشهاد زوجها، فتنطلق مع أبنائها على طريق الثورة.

ذات يوم، أوضح موضوع العمل الفني في معرض الحديث مع أحد مقاتلي الجيش الثوري الشعبي الكوري الملقب بـ «الشيخ ذي الغليون»، وكتب نص المسرحية جالسا على جذع شجرة متساقطة أو ساهرا طول الليل بجانب نار المخيم في أيام المسيرة.

عند وصول الوحدة إلى مانجيانغ، كان قد كتب النص أكثر من نصف العمل.

بعد وصوله إليها، استمر القائد كيم إيل سونغ في كتابة النص في منزل عمدة القرية الذي يساعد العمل الثوري بنشاط.

لدى إكمال نص المسرحية، اضطلع «الشيخ ذو الغليون» بإخراجها.

في أحد الأيام، ذهب القائد كيم إيل سونغ إلى مكان التمرينات حيث طلب من المقاتلة التي تؤدي دور كاب سون أن تمثل مشهد إنشاد الأغنية الرئيسية للمسرحية «أغنية بحر الدم» باكية وهي تعانق وول نام الذي قتله الأوغاد اليابانيون.

إلا أنها لم تؤد دورها كما هو مطلوب لعدم بكائها عند الغناء.

ذكرها القائد كيم إيل سونغ بالنكبات التي حلت بها في الوطن وفي تشينتاو وقال لها بالتفصيل: هذه المسرحية تعالج حياة أناس مثلك يا رفيقة. إن وول نام الذي يغتاله اليابانيون في المسرحية هو مثل أخيك الصغير بالذات. أفلا تنهمر دموع الحقد من عيني الأخت أمام الموت المأساوي لأخيها الصغير الذي كان يناديها إلى ما قبل لحظات قليلة «أختي، أختي الحبيبة»؟

في تلك الأيام، بدأت تنضج المسرحية.

في أحد أيام عام ١٩٣٦، قدم أخيرا العرض الافتتاحي للرائعة الكلاسيكية الخالدة «بحر الدم» في قرية مانجيانغ.

أقيم المسرح فوق منصة بسيطة على ضوء مشاعل خشب الصنوبر والقناديل.

استحوذ العرض على أفئدة الناس منذ البداية.

بلغ العرض ذروته حتى ترددت الرائعة الكلاسيكية الخالدة «أغنية بحر الدم» التي تغنيها كاب سون غاضبة أمام الموت المأساوي لأخيها الذي كتم أسرار الثورة حتى النهاية أمام فوهات بنادق العدو الذي يهدد حياته.

حدث يا بحر الدم ..
حدثي يا رياحا ثلجية عاصفة

كم عدد من ماتوا فيك
أبشع موت؟
كم عدد من وهبوا ..
للثورة دماءهم؟

حالات عائلات الشهداء المأسوية ..
تفجر قلوبنا ..
الحقد الدفين والغضب الساخط
الحقد يغلي .. يتأجج في قلوبنا ..
لن تخمد جذوته ..
حتى الموت

أنشدت المقاتلة التي تؤدي دور كاب سون الأغنية باكية وهي تشد قبضتيها للانتقام من العدو مفكرة في أن وول نام الذي خر صريعا برصاصه هو تحديدا أخوها الصغير، كما أشار إليه القائد كيم إيل سونغ.

يا بروليتاريا العالم أجمع ..
ارفعوا يقظتكم لا تيأسوا!
نحن ١٦٧٠ مليون إنسان
سنستولي على السلطة
مهما كان ثمنها بدماء الثوار!

عندما انتهى العرض، وقف المتفرجون الذين كانوا يذرفون الدموع مع كاب سون يهتفون «ليسقط المعتدون الإمبرياليون اليابانيون!» وتحول المكان إلى بوتقة الثأر.

قفز الشباب إلى خشبة المسرح في تأثر شديد وتسابقوا في طلب الانضمام إلى الجيش الثوري الشعبي الكوري

كتب الرئيس كيم إيل سونغ كما يلي في مذكراته «في دوامة القرن» عائدا بذاكرته إلى ذلك الحين:

«لقد كان لتقديم العرض المسرحي في مانجيانغ مساهمة في تنوير وتثقيف الشباب والشيوخ الذين لم يتلقوا أي تعليم في هذه المنطقة الجبلية النائية، كما أسهمت المسرحية في تحويلهم إلى مشاركين ومتعاونين فعالين مع النضال الثوري المناهض لليابان.»

كانت الرائعة الكلاسيكية الخالدة «أغنية بحر الدم» شائعة على نطاق واسع بين أبناء الشعب حتى أظهرت حيويتها الكبيرة في تثقيفهم على النهج الثوري مثيرة الكراهية والثأر الملتهب من العدو في نفوسهم.

«أغنية حزن»

ذات يوم من آب/ أغسطس عام ١٩٣٦، وصلت الوحدة الرئيسية للجيش الثوري الشعبي الكوري بقيادة القائد كيم إيل سونغ إلى قرية مانجيانغ في منتصف مسيرتها إلى جبل بايكدو.

عند زرع البذور في ربيع العام نفسه، أقامت الوحدة فيها لعدة أيام.

استدعى القائد كيم إيل سونغ الضباط الآمرين ليكلفهم بمهمة القيام بالعمل السياسي على نطاق واسع في القرية، كما استدعى المقاتلين ذوي الميول في الغناء والرقص والمسرحية ليضع لهم برنامج العرض الفني ويسند بنفسه الأدوار التمثيلية إليهم.

هذا وأعطى نص المسرحية الثورية «مصير عضو فرقة الدفاع الذاتي» لفريق المسرحية وطلب منه حفظ الحوار عن ظهر قلب بعد إدراك مضمونه.

هذه المسرحية ألفها القائد كيم إيل سونغ شخصيا في أيام استمرار المعركة والمسير.

بعد ذلك، بدأت تمرينات التمثيل تحت إشرافه.

في البداية، لم يكن تمثيل الجميع يوحي بالحقيقة.

فقد صحح القائد كيم إيل سونغ تمثيل قائد الفصيلة الذي يؤدي دور رئيس فرقة الدفاع الذاتي، ووجه تمثيل الجندية أيضا والتي تلعب دور الأم حتى تطفر الدموع تلقائيا من عينيها.

بعد نهوضه بتمرينات فريق المسرحية، قاد أيضا تمرينات فريقي الموسيقى والرقص.

هكذا، جرت التمرينات المكثفة خلال ليلة ويوم حتى أوشك أن يقدم العرض الفني في الليل قبل مغادرة الوحدة مانجيانغ.

تم إعداد منصة عرض مؤقتة وعلق على الجدران حتى برنامج العرض بصورة رائعة.

راح جميع أهالي القرية يجتمعون منذ ما قبل بدء العرض حتى اكتظت الباحة بهم.

قبل تقديم العرض الفني، ألقى القائد كيم إيل سونغ كلمة قصيرة.

بعد انتهاء كلمته، رفع الستار عن العرض الفني.

استهل العرض الفني بالغناء الجماعي لـ «مارش جيش حرب العصابات» و«أنشودة الحرب ضد اليابان» وتلته الفقرات المتنوعة مثل الغناء الفردي والكورس الصغير والعزف الجماعي على الهرمونيكا، قبل أن تقدم المسرحية الثورية «مصير عضو فرقة الدفاع الذاتي».

استحوذت المسرحية على قلوب المشاهدين تماما منذ البداية.

بكى وسخط شيوخ القرية مع المسن الممثل في المسرحية مفكرين في أحوال حياتهم وقد بلل العرق قبضاتهم.

حقا إن المسرحية لم تختلف في شيء عن حياة أهالي مانجيانغ.

بناء على الإعلان الرسمي لجهاز دولة منشوكو العميلة آنذاك، بلغ عدد أعضاء فرقة الدفاع الذاتي في محافظة فوسونغ أكثر من ٤ آلاف شخص، وهذا يعني أن معظم الشباب الكوريين اقتيدوا إلى «فرقة الدفاع الذاتي»، ولم يكن بين الآباء والأمهات من لم يفقدوا الأبناء إلا نادرا.

بدأت الأخت الصغيرة للبطل تغني الرائعة الكلاسيكية الخالدة «أغنية الحزن» وقد باتت تبقى وحيدة في هذا العالم اللعين بعد فقدان والديها على يد الإمبريالية اليابانية واقتياد أخيها الكبير إلى فرقة الدفاع الذاتي:

الشمس تغرب..
هناك خلف الجبال الغريبة.
والطيور تأوي إلى أوكارها
ترتاح..
وحيدا أعاني من المأساة
لا أحد أعتمد عليه

هناك في الأفق البعيد..
حيث يحلق الإوز البري
تظهر أطياف الأعزاء
متى يسمح لي بالعودة إلى الديار
لأرعى والدي
وأبذر في الأرض البذار

كان صوت الغناء الشجي المتردد مع الشهيق قد أذكى لهيب الكراهية والنضال في نفوس المشاهدين.

صرخ أهالي القرية وهم يشدون قبضاتهم:

«لتسقط الإمبريالية اليابانية!»

في ذلك الوقت، ركض الشابان نحو خشبة المسرح وقالا بصوت متهدج من شدة التأثر:

«لا نريد الاقتياد إلى فرقة الدفاع الذاتي التي تخدم الإمبريالية اليابانية عميلة لها ونحن أيضا سنقاتل بأرواحنا من أجل استقلال كوريا. نرجوكم أن تقبلونا في وحدتكم.»

صعد الشباب الآخرون إلى خشبة المسرح وطلبوا قبولهم في الجيش.

وافق القائد كيم إيل سونغ من فوره على انضمامهم إلى الوحدة وهو يمسك بأيديهم بقوة.

كافأ الجمهور أولئك الشباب بالتصفيق والهتاف المتحمس تهنئة لانضمامهم حديثا إلى صفوف الجيش الثوري الشعبي الكوري.

«أغنية برنامج النقاط العشر لجمعية استعادة الوطن»

جمعية استعادة الوطن هي منظمة الجبهة الوطنية المتحدة المناهضة لليابان، الأولى من نوعها في تاريخ بلادنا.

بعد أن أسس القائد كيم إيل سونغ جمعية استعادة الوطن، بذل الجهود الكبيرة لتوسيع شبكة تنظيماتها على نطاق البلاد كلها.

عندما كان يشغل باله لدفع هذا العمل قدما بنجاح، كتب شخصيا شروحات عن برنامج النقاط العشر لجمعية استعادة الوطن في كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩٣٦ وألقى محاضرات خاصة بها أمام مقاتلي الجيش الثوري الشعبي الكوري ومسؤولي جمعية استعادة الوطن.

إلا أنه لم يكتف بذلك، بل وقرر نشر برنامج النقاط العشر بالأغنية ذات قدرة التأثير والتغلغل القوية أثناء تأملاته العميقة في كيفية نشرها بين الناس بطريقة سهلة الفهم وعمومية.

ألف القائد كيم إيل سونغ «أغنية برنامج النقاط العشر لجمعية استعادة الوطن» عن طريق تحويل كل نقطة من نقاط البرنامج إلى كلمات أغنية:

١- ترسيخ الجبهة الثورية المتحدة المناهضة لليابان
بتعبئة ٢٠ مليونا من أبناء الأمة الكورية
وبناء الحكومة الشعبية
بالإسراع في تحطيم الحكم الياباني الوحشي
هذه النقطة الأولى

٢- اتحاد العمال والفلاحين ككل
وتحالف مختلف أوساط الجماهير
وتعبئة كل الثروات والمعارف والقدرات
في سبيل بناء كوريا الغنية والقوية
هذه النقطة الثانية

٣- انتزاع كافة الأسلحة الحديثة
للقوات البرية والبحرية والجوية اليابانية
وإمساكها في أيدينا
وتنظيم جيشنا الذي يقاتل جميع أفراده بشجاعة دون تردد
هذه النقطة الثالثة

٤- جمعت زمر عملاء اليابان أموالا
لقاء دماء وعرق مواطنينا.
انتزاع كلها لتغطية النفقات العسكرية
وإغاثة المواطنين
هذه النقطة الرابعة

٥- رفض الوفاء بالديون والضرائب المطلوبة بشدة
ومعارضة النظام الاستبدادي المستغل
وتحقيق تطورنا السليم
ببناء صناعتنا بأيدينا
هذه النقطة الخامسة

٦- تحقيق حرية الكلام والصحافة والفكر وتشكيل الجمعية
ومعارضة القوى الإقطاعية والإرهاب الأبيض
وانتزاع جميع مناضلينا المعتقلين من العدو
وطرد الخونة
هذه النقطة السادسة

٧- التمتع بالمساواة والسعادة
دون تمييز بين النبلاء وعامة الشعب
وبين الرجال والنساء والكبار والصغار
وضمان الشخصية والمكانة
بالاحترام والاعتناء بالنساء الضعيفات
هذه النقطة السابعة

٨- المعارضة الثابتة لتعليم الدمج القومي لاستعباد أبناء أمتنا
والتدريب العسكري لقتلهم في ساحة القتال
وانطلاقهم متحدين بتراص،
من أجل نشر ثقافتنا
هذه النقطة الثامنة

٩- زيادة أجور العمال وتحسين معاملتهم
وهم يصنعون موادنا
ومساعدة العاطلين عن العمل والمرضى بكل عناية
وعلاجهم ليبقوا على قيد الحياة
هذه النقطة التاسعة

١٠- تشكيل كيان واحد بالتحالف الوثيق
مع البلدان والأمم التي تساعدنا
ومعارضة كل البرجوازيين الشرسين
أنصار العدو
هذه النقطة العاشرة

ما إن خرجت إلى النور «أغنية برنامج النقاط العشر لجمعية استعادة الوطن» حتى استولت على أفئدة الجماهير الغفيرة.

كانت الأغنية مفيدة لتمكين حتى الأميين من معرفة الهدف الراهن والمهام الكفاحية للثورة الكورية بوضوح عند سماعها مرة واحدة أو مرتين، فكان الجميع يتعلمونها في الحال لكونها سهلة الغناء ومرحة.

تعاطفا مع المضمون الثوري لكلمات الأغنية، أنشدها الفلاحون عند التعشيب، بينما غناها العمال في المناجم والجبال بحماسة عالية.

أنشدها مقاتلو الجيش الثوري الشعبي الكوري على نطاق واسع بإدراجها في برنامج مسابقة الدراسة بالسؤال والجواب.

انطلق الجميع كرجل واحد إلى الحرب المقدسة لتحرير الوطن، مدركين في أعماق قلوبهم المعنى الحقيقي لبرنامج النقاط العشر لجمعية استعادة الوطن من خلال إنشاد هذه الأغنية.

أغنية بثت إيمانا

في أوائل كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩٣٨، واصل القائد كيم إيل سونغ المسيرة الشاقة انطلاقا من نانبايتسو في محافظة مينغتشيانغ حتى بيدادينغجي في محافظة تشانغباي، على رأس القوة الرئيسية للجيش الثوري الشعبي الكوري.

سار مقاتلو الجيش الثوري الشعبي الكوري دون أن يتناولوا الطعامويناموا ويستريحوا، وأضف إلى ذلك، اضطروا إلى التقدم مع قتال الكثير من العدو المهاجم من حين لآخر حتى تهالكوا على الأرض واحدا فواحدا منهوكي القوى.

ذات يوم، سقط أحد الجنود الصغير أرضا خائر القوة عند صعوده على منحدر الجبل. لو لم ينهض فورا لكان جسمه يتجمد بحذافيره مثل قطعة جليد.

حاول أن يستمد مساعدة رفاقه بإطلاق صرخات، بيد أنها لم تند عن فمه.

بعد مضي الوقت، استعاد وعيه ووجد نفسه محمولا على ظهر القائد كيم إيل سونغ.

حاول الجندي النزول منه مسرعا لشعوره بالذنب.

غير أن القائد كيم إيل سونغ شده مجددا على ظهره وهو يطلب منه استجماع قواه إذا عاد إلى صوابه.

رفع الجندي رأسه بصعوبة وألقى نظرة إلى أمامه، تراءت بشكل مبهم ملامح المقاتلين الذين يتحاملون في المسير شبرا فشبرا متكئين بعضهم على بعض وسط العاصفة الثلجية الكثيفة ومن بينهم من يزحفون بصعوبة على ركبهم ومن لا يرد على نداء رفاقه المتكرر بعد سقوطه مغميا عليه.

في ذلك الوقت بالذات، أوقف القائد خطاه هنيهة ولاحظ الصفوف التي تتخبط في الثلوج العميقة، ثم بدأ يغني الأغنية بهدوء:

الراية الحمراء لجماهير الشعب

تغطي جثة الجندي

الدماء القانية تخضب الراية بالحمرة

قبل أن تبرد وتجمد الجثة

...

في تلك اللحظة، ثاب الجندي إلى صوابه تماما وأحس بجيشان القوة في كل أطراف جسمه.

أضفت الأغنية التي أنشدها القائد كيم إيل سونغ نشاطا وحيوية على كل الصفوف التي كانت تترنح منهوكة القوى.

راح الجنود الذين تهالكوا على الأرض ينهضون واحدا فواحد ليدخلوا في الصفوف.

أولا، رجع أفراد سرية الحراسة الأغنية في أصواتهم، ثم الصفوف كلها.

لم تكن أصوات الغناء عالية، إلا أنها تنبض بإرادة الجنود لحماية الراية الحمراء سائرين وراء القائد كيم إيل سونغ، دونما خضوع أمام المصاعب.

حاول الجندي الصغير أيضا ترجيع الغناء، بيد أنه لم يستطع أن يطلق الصوت بسبب تجمد شفتيه.

طلب القائد منه أن يصبر قليلا وهو يمسد شفتيه بالثلج.

عندئذ فقط، انفغر فم الجندي الصغير الذي بدأ يرجع الأغنية في حلقه ببطء:

من تخلى عن الراية الحمراء

في القتال الدامي مع العدو؟

...

احتضنه القائد كيم إيل سونغ بشدة قائلا: لنتغلب على هذا الموقف العصيب، إذا استسلمنا هنا للمخاطر لن ينهض الوطن إلى الأبد.

أضاف أن طريقنا مقدس يؤدي إلى الوطن مهما كان وعرا وشاقا، داعيا إلى النضال بصمود لتقريب يوم تحرير الوطن دون نسيان القسم المعقود أمام الثورة.

آنذاك، كان القائد كيم إيل سونغ يعاني من المتاعب والإعياء أكثر من غيره، ويمشي لمسافات أطول لقيادة الصفوف، ويسهر الليالي أكثر من الآخرين للاعتناء بالجنود، ويصبر على الجوع الأشد قلقا على الجنود.

إلا أنه ساعد الجنود على النهوض مفكرا في مصير الوطن والشعب، وأسرع في المسيرة من أجل تقريب يوم تحرير الوطن.

تردد أغنية الوداع في الغابة

كان كل من مقاتلي جيش حرب العصابات رصيدا قيما للثورة ورفيقا عزيزا بالنسبة للقائد كيم إيل سونغ.

لذا، كان يشعر ببالغ الأسف والأسى كلما تلقى خبرا حزينا عن تعرضهم للشقاء أو سقوطهم شهداء.

في كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩٣٩، حين كان القائد كيم إيل سونغ يقود معركة ليوكيسونغ، تلقى تقريرا عن استشهاد قائد الفوج أو جونغ هوب.

عندما كان أو جونغ هوب يقود المعركة في ذلك اليوم باختراق الثكنات المعادية على رأس الفوج، أصيب بالرصاص الذي أطلقه العدو من النفق وقال في آخر لحظة من حياته: «يا رفاق، أرجوكم أن تخبروا الرفيق القائد بأنني آسف لأني أموت دون تنفيذ أوامره حتى النهاية...».

أمر القائد كيم إيل سونغ بكبح قلعة العدو فورا وإبادته عن بكرة أبيه.

سحق مقاتلو الجيش الثوري الشعبي الكوري العدو في لمح البصر بخوض معركة الانتقام القاسية حتى أنهوا معركة ليوكيسونغ بانتصار رائع.

إلا أن ذلك لم يبدد حزن القائد كيم إيل سونغ على فقدان مرؤوسه الحبيب.

مشى القائد في حزن شديد وراء موكب حاملي جثة أو جونغ هوب.

أحس القائد بالألم يحز في فؤاده لاضطراره إلى أن يغادر المكان بعد دفن مرؤوسه الثوري المخلص إخلاصا تاما له والباسل والمتحمس في أرض الغربة التي تزمجر فيها العاصفة الثلجية الهوجاء.

واراه التراب في المكان المشمس الهادئ، وأقام حفل تأبينه حيث ألقى كلمة عدد فيها مآثر ومناقب الشهيد التي تركها في طريق الثورة الشاقة والمقدسة، ودعا إلى إنجاز القضية الثورية حتما والتي لم يكملها. كانت كل فقرة من فقرات كلمته التأبينية تمزق نياط قلوب المقاتلين الذين غرقوا في لجة من الحزن والأسى.

راح الجميع ينشدون «أغنية الوداع لجيش حرب العصابات» في حزن لا سبيل إلى وصفه:

١- سقط جندي الجيش الثوري تحت الشجرة قابضا صدره
يخضب الدم النازف من صدره الحقل الأخضر

٢- سقط تحت الشجرة الوحيدة دون أن يثأر للحقد
تاركا وراءه موطنه وأهله في المكان البعيد

٣- يا غراب في الجبل، لا تبك أمام الجثة،
ما زالت روحه الثورية حية رغم موته

ترددت الألحان الشجية لأغنية الوداع بتثاقل في أرجاء الغابة.

انتهت الجنازة، بيد أن المقاتلين لم يتحركوا غارقين في الكآبة والشجن.

شجعهم القائد كيم إيل سونغ داعيا إياهم إلى أن يتغلبوا جميعا على الحزن باستجماع القوى.

لدى سماعهم قوله، عقد المقاتلون عزما أكيدا على أن يقاتلوا مضحين بحياتهم حتى يوم انتصار الثورة، تحقيقا لغايات الرفاق الشهداء في السلاح.

في أيام بناء الدولة

قصة أغنية التمجيد الخالدة

اهتزت البلاد كلها تأثرا وابتهاجا لبزوغ الصباح الجديد للتحرر.

غمرت أبناء شعبنا سعادة وسرور لا يقارن بأي شيء لتمتعهم بالحياة الجديدة بعد استرجاع الوطن وصيرورتهم أصحابا للبلاد، فقد كانت قلوبهم تمتلئ احتراما وامتنانا غير محدود للقائد كيم إيل سونغ.

ترددت هتافات «عاش القائد كيم إيل سونغ، القائد البارع للشعب الكوري!» دون توقف في كل أرجاء البلاد.

هتفوا بحياته بأعلى أصواتهم ونظموا القصائد ليتلوها ورفعوا الرسائل إليه، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يعبروا عن كل ما تفيض قلوبهم به من مشاعر الشكر له.

كانوا في أمس الحاجة إلى أغنية التمجيد التي تتيح لهم أن يتغنوا بفضائل القائد كيم إيل سونغ بملء رغبتهم وينقلوها للأبد إلى الأجيال القادمة.

لذا، أرسلوا رجالا ونساء وكبارا وصغارا من مختلف الطبقات والفئات إلى الجهة العليا كثيرا من الرسائل التي تعبر عن أمنيتهم من كل فج وصوب.

فضلا عن الرسائل، أرسلوا كلمات وألحان الأغاني التي ألفوها تعبيرا عن مشاعر إخلاصهم. هكذا، تحول العمل المشرف لتأليف أغنية التمجيد إلى عمل جماهيري لم يسبق له مثيل.

في أحد أيام أيار/ مايو عام ١٩٤٦، ذهب كيم تشايك إلى المناضلة كيم جونغ سوك وأخبرها بأن أحد الكوادر عاد توا بطلب تأليف الأغنية عن القائد كيم إيل سونغ وقد قصد إلى المنطقة المحلية بقيادة فرقة الدعاية والتعبئة. ثم،

أبدى لها عزمه على حل مسألة إبداع أغنية التمجيد الثورية في أسرع وقت ممكن.

أيدت كيم جونغ سوك عزمه بنشاط، داعية إلى حسن تأليف الأغنية التي تتغنى بالقائد كيم إيل سونغ.

أعرب كيم تشايك عن رغبته في دفع هذا العمل بكل ثقة، وحدثها عن القصة التالية بدافع من ضيق صدره.

ذات يوم، أبلغ كيم تشايك القائد كيم إيل سونغ بمسألة إبداع أغنية تمجيده.

حينذاك، قال القائد كيم إيل سونغ له: ماذا علي أن أعمل إذا فعلت أنت هكذا؟ أنت أدرى بما يدور في خلدي، ويجدر بك أن تساعدني في هذا الوقت، أليس كذلك؟

بعد استماعها إلى قوله، خاطبته كيم جونغ سوك بأننا سعينا جاهدين لتأليف وإنشاد الأغنية عن القائد كيم إيل سونغ منذ قتالنا في الجبال، إلا أننا لم نستطع بسبب ممانعته الصارمة، فتشعر بألم فؤادها عندما تفكر في ذلك الآن.

وشجعته على بدء تأليف الأغنية دون التفكير بأي شيء آخر، مؤكدة أننا لا نستطيع تأليفها حتى بعد مرور عشر أو مائة سنة، إذا انتظرنا الموافقة وحدها من القائد كيم إيل سونغ.

استمد كيم تشايك قوة كبيرة من قولها، وكلف أحد الشعراء بمهمة تأليف أغنية تمجيد القائد كيم إيل سونغ.

فقد صب الشاعر جماع حماسته على إبداع كلمات الأغنية.

في وقت لاحق، تلقت كيم جونغ سوك من خلال كيم تشايك كلمات الأغنية التي نظمها الشاعر، وقالت إنها ستكون كلمات أغنية رائعة عند تطويرها على هذا الأساس وهي تشير بالتفصيل إلى المضمون الذي ينبغي لكلمات الأغنية أن تعبر عنه، وأمرت بإرسال مجموعة الأغاني إلى الشاعر والتي تضم أكثر من ١٠٠ أغنية ثورية بما فيها الأغاني التي ألفها القائد كيم إيل سونغ بنفسه.

حين دخل الشاعر مرحلة إكمال تأليف كلمات الأغنية إلى حد معين، انتابته الرغبة في تلقي توجيهها المباشر.

التقت كيم جونغ سوك بالشاعر وروت له قصص النضال في الجبال لمساعدته على إبداع كلمات الأغنية وهي تقول: ليس في بلادنا أي مكان غير موسوم بآثار الخطوات الجليلة للقائد كيم إيل سونغ الذي يكرس حياته من أجل استقلال البلاد وسعادة الشعب. تلك الآثار متروكة أيضا في سلاسل جبل بايكدو الوعرة وعلى ضفاف نهري آمروك ودومان، فضلا عن الجنة الأرضية لهذا البلد المحرر. عندما كنا نواجه الرياح الباردة في سهوب منشوريا الفسيحة ونسهر الليالي حول نار المعسكر السري، كنا على يقين تام من أن ذلك الوقت سيأتينا حتما للحديث مثل حكاية قديمة عن حب القائد كيم إيل سونغ المبذول للوطن والشعب. حقا إن اسمه الكريم سيتألق للأبد في قلوب أبناء شعبنا.

كان قولها إلهاما وإيقاعا شعريا لأغنية التمجيد الثورية يبحث الشاعر عنهما بلهفة.

صاح الشاعر صيحة فرح ونقل قولها إلى كلمات الأغنية كما هو عليه.

وبعد ذلك أيضا، عاينت كيم جونغ سوك كلمات الأغنية عدة مرات وقامت بتصحيحها واحدة تلو الأخرى.

أما الملحن الذي تلقى كلمات الأغنية فهو أيضا أنجز تلحينها لمدة قصيرة بدافع من التأثر المتدفق.

هكذا، جاءت إلى الدنيا أغنية التمجيد الثورية كرائعة موسيقية جديرة بالنصب التذكاري.

على الرغم من ذلك، مضت الأيام بتلهف دون عقد جلسة الاستماع إلى الأغنية، إذ أن القائد كيم إيل سونغ عارض إبداعها بحزم.

في أحد أيام النصف الثاني من حزيران/ يونيو عام ١٩٤٦، حين خرج القائد كيم إيل سونغ من الغرفة بعد توجيه الاجتماع الهام، اقترح عليه كيم تشايك الاستماع إلى أغنية واحدة وهو يخبره بأن المبدعين والفنانين ألفوها، مشيرا إلى أولئك الذين تركهم سابقا ينتظرون في الغرفة المجاورة.

لذا، أجريت جلسة الاستماع العميقة المغزى بحضور القائد كيم إيل سونغ.

عندمـا جلـس علـى المقعـد مـع الكـوادر، بـدأت تطلـق بقـوة فـي المـكان الألحـان الجليلة لأغنيـة التمجيـد الثوريـة الخالـدة «نشـيد القائـد كيـم إيـل سـونغ».

١ـ على سفوحك يا زانغبايك آثار دامية
على ضفاف نهر آمروك آثار دامية
اليوم على كوريا الحرة الزاهية
تشرق مآثره الجليلة
آه ـ اسمه الحنون قائدنا
آه- اسمه الساطع القائد كيم إيل سونغ

٢ـ يا ثلوج حدثي، يا رياح منشوريا
يا ليالي الغابات الطويلة حدثينا
من هو الفدائي الفرد أبدا
من هو الوطني الخالد في الدنيا
آه ـ اسمه الحنون قائدنا
آه- اسمه الساطع القائد كيم إيل سونغ
...

كان جميـع حضـور جلسـة الاسـتماع خفاقـي القلـوب دون أن يكبحـوا تدفـق تأثرهـم وانفعالهـم.

انتظر الكوادر والمبدعون والفنانون تعليمات القائد كيم إيل سونغ متطلعين إليه.

بعـد لحظـات، قـال إن الأغنيـة رائعـة وألحانهـا أيضـا تفيـض بالقـوة والنشـاط، ولكـن لا يجـوز نشـرها علـى الإطـلاق.

إلا أن «نشـيد القائـد كيـم إيـل سـونغ» بـدأ يتـردد منـذ اليـوم التالـي فـي جميـع أرجـاء البـلاد وهـو يبعـث التأثـر والابتهـاج الفائـق فـي قلـوب عشـرات ملاييـن المواطنيـن.

زيارة مانكيونغداي، مسقط رأسه بعد عشرين عاما

فـي يـوم ١٤ مـن تشـرين الأول/ أكتوبـر عـام ١٩٤٥، ألقـى القائـد كيـم إيـل سـونغ خطابـا مقدمـا إلـى جميـع أبنـاء الشـعب بعـد عودتـه المظفـرة إلـى الوطـن وهـو علـى منصـة رئاسـة المهرجـان الجماهيـري الـذي أقيـم فـي مدينـة بيونـغ يانـغ ترحيبـا بعودتـه المظفـرة، ثـم، زار مانكيونغـداي، موطنـه المشـتاق.

اندفـع أهالـي مانكيونغـداي ترحيبـا بـه مطلقيـن صيحـات التهليـل وقـد انتظـروا عودتـه بفـارغ الصبـر.

خرجـت جدتـه وأفـراد أسـرته مـن البيـت وارتمـوا أنفسـهم فـي حضنـه والدمـوع تترقـرق فـي أعينهـم مـن التأثـر.

وجه القائد كيم إيل سونغ تحيته لجدته بهدوء قائلا:

ـ كيف حالك، يا جدتي؟

قالت جدته بصوت مخنوق، وهي تمسح دموعها بحاشية تنورتها:

ـ حيـن رأيتـك، أحسسـت بتلاشـي كل همومـي المتراكمـة طـوال عمـري! ... ولكـن ... لمـاذا جئـت وحـدك؟ أيـن تركـت أبويـك؟ .. ألـم يعجبـك أن تأتـوا معـا؟! ...

لـم يـرد القائـد كيـم إيـل سـونغ علـى سـؤال جدتـه، ودار ببصـره فـي أرجـاء الغرفـة وهـو يسـترجع ذكرياتـه التـي لـن ينسـاها عـن والديـه.

شد الجد على يدي حفيده وداعبها محولا دفة الحديث لتبديد آلام قلبه:

ـ ما أحلى التحرر! ... كم كان سرور والديك عظيما وهما الآن تحت الثرى!

تأملت الجدة بعين الرضا ملامح حفيدها وعلى وجهها ابتسامة عريضة.

فـي تلـك الأثنـاء، تجمـع الأهالـي فـي داخـل وخـارج البيـت الـذي ولـد فيـه القائد كيم إيل سونغ حتى يفيض المكان بالسرور والضحكات.

بعد هنيهة، بدأ حفل التهنئة البسيط.

ملأ القائد كيم إيل سونغ كؤوسا من الخمر وقدمها لجده والشيوخ في القرية.

بعد أن تناولت زوجة عمه كأسا من الخمر منه، قالت إنها لا تشرب الخمر ولكن ستغني الأغنية بدلا من ذلك، إذ راودتها الفكرة في أن الأمر سيكون جيدا جدا إذا كانت الأم كانغ بان سوك في هذا المكان السار.

كانت تلك هي «أغنية المهد» التي غناها والداه عند احتضانه وتنويمه في أيام طفولته.

نم، يا صغيري
نوما عميقا ومريحا
نم، يا صغيري
نوما هنيئا
كن لطيفا من أقاربك
كن الابن البار بوالديك
يا قرة عيني، أنت جوهرتي
...

ترددت ألحان الأغنية بسموها وجلالها والتي كانت أمه كانغ بان سوك تنشدها متمنية بإلحاح أن يكبر ابنه كبطل البلاد، حتى أغرقت جميع أهالي القرية في ذكريات عميقة.

تعمق الليل بهدوء في مانكيونغداي، بينما كانت الغرف والفناء تضج بالأحاديث المؤثرة المتواصلة بلا نهاية والأغاني والرقصات الفرحة، بحضور القائد كيم إيل سونغ الذي انتظروه بلهفة خلال ٢٠ عاما.

إسداء التعليمات بالهاتف

ذات يوم من ربيع عام ١٩٤٦، بثت الإذاعة أغنية تنشدها إحدى النساء بطلاقة رائعة، في حين كان القائد كيم إيل سونغ يتناول العشاء.

أصغى بانتباه إلى تلك الأغنية وفي يده الملعقة ونهض من مقعده عند انتهاء الغناء.

اتصل بأحد الكوادر هاتفيا وسأله عمن أنشدت الأغنية قبل قليل.

أجابه بأنها معلمة في إحدى المدارس.

أعرب القائد كيم إيل سونغ عن غاية سروره وهو يقول:

كم هي رائعة تلك الأغنية التي أنشدتها المعلمة! ها هي بالذات أغنية نتطلبها. كم تكون سليمة!

تعبر عن مشاعر شعبنا الذي انطلق إلى بناء كوريا الجديدة، كما هي عليه. الأغنية رائعة جدا لأنها مرحة ومفعمة بالنشاط والحيوية، فضلا عن كون صوت المعلمة رخيما. ...

عليك إعلام عاملي الإذاعة بوجوب بث الكثير من الأغاني التي ينشدها الفنانون الجدد مثل تلك المعلمة.

بفضل هذه العناية الفائقة للقائد كيم إيل سونغ، تفتحت أزهار فننا الثقافي الجماهيري على مداها كما في بستان الزهور عند الربيع، حتى توفرت التربة الجميلة الجديدة للثقافة القومية.

انطلاق الأغاني في جبل هايبانغ للاحتفال برأس السنة

فـي كانـون الأول/ ديسـمبر عـام ١٩٤٩، كان كيـم جونـغ إيـل يشـغل بالـه لإدخـال البهجـة فـي نفس أبيـه الرئيـس كيـم إيـل سـونغ فـي عيد رأس السـنة الـذي يسـتقبله لأول مـرة بعد وفـاة أمـه كيـم جونـغ سـوك، البطلـة المناهضـة لليابـان.

خطـرت لـه خطـة عـرض الغنـاء والرقـص الـذي يحبـه أبـوه، فاسـتدعى جميـع المشـرفات والأطفـال فـي روضـة الأطفـال عنـد مسـاء يـوم ٣١ مـن كانـون الأول/ ديسـمبر.

تلبيـة لدعوتـه، احتشـد فـي بيتـه الواقـع علـى سـفح جبـل هايبانـغ الكثيـر مـن المشـرفات والأطفـال فـي روضـة الأطفـال وأمهاتهـم، فضـلا عـن أقربائـه وازدحمـوا وهـم يشـاهدون الزينـات التـي صنعهـا للاحتفـال بعيـد رأس السـنة.

بعد وقت ما، جاء الرئيس كيم إيل سونغ إلى البيت مع الكوادر.

ركـض الأطفـال الذيـن كانـوا ينتظرونـه بفـارغ الصبـر نحـوه دفعـة واحـدة ليوجهـوا إليـه أول تحيـة فـي العـام الجديـد.

تلقـى الرئيـس كيـم إيـل سـونغ تحيتهـم بترحـاب، داعيـا إلـى أن يلعبـوا بمـرح وباطمئنـان البـال مـن خـلال الغنـاء وغيـره.

نط الأطفال كالأرانب وهم يضربون الأرضية بأقدامهم من شدة الفرح.

اسـتهل حفـل اسـتقبال رأس السـنة بــ «أغنيـة حضـور الـدرس» حسـب البرنـامـج الـذي وضعـه كيـم جونـغ إيل.

حيـن نشـأ الجـو المفـرح فـي لحظـة واحـدة، قـام جونـغ إيـل مـن مقعـده وأعلـن بـدء حفـل اسـتقبال رأس السـنة مـن الآن للتهنئـة بالعـام الجديـد ١٩٥٠.

آنـذاك، نهـض جميـع الحضـور واعتدلـوا فـي موقفهـم وراحـوا ينشـدون أغنيـة التمجيـد الثوريـة الخالـدة «نشـيد القائـد كيـم إيـل سـونغ» بمـلء حناجرهـم.

ثـم، أنشـدوا الأغنيـة الثوريـة «لنغـن معـا، أيهـا الرفـاق الصغـار» حسـب تعريـف البرنامـج مـن قبـل جونـغ إيـل.

كلمـا تبدلـت فقـرات العـرض الفنـي مثـل الغناء الأحـادي والرقـص الثنائـي والمحاورة، أبـدى الرئيس كيـم إيل سـونغ سـروره وهـو يصفـق أولا وقبـل غيره.

لذا، أنشد جونغ إيل الأغنية بحماسة أكبر، بينما رقصت أخته الصغيرة بمرح.

حقا، كان حفل استقبال رأس السنة يمتلئ بالفرح والسعادة.

مسـح جونـغ إيـل دمـوع السـرور خفيـة وهـو يتطلـع إلـى أبيـه الـذي يقضـي وقتـا ممتعـا مـع الأطفـال علـى الرغـم مـن تعمـق الليـل وكأنـه نسـي كل همومـه.

كان هـدف جونـغ إيـل مـن وراء إقامـة هـذا الحفـل ببـذل الجهـود الكبيـرة ورغبتـه الملحـة همـا إثـلاج صـدر أبيـه.

تردد أغنية الانتصار وسط نيران المدافع

الفن الكوري حي

في خريف عام ١٩٥٠، توجه الفنانون في فرقة الغناء والرقص للجيش الشعبي الكوري إلى الشمال فور بدء التراجع الاستراتيجي المؤقت، وقد قاموا بنشاطات العروض الفنية الكفاحية بعد تقدمهم حتى حدود نهر راكدونغ مع وحدات الجيش الشعبي.

وصلوا أخيرا إلى أرض وونبونغ بمحافظة زاكانغ من خلال مواصلة المسيرة العصيبة واجتياز تلال المحن.

عندما أمضوا عدة أيام بعد حط رحالهم هناك، فوجئوا بتلقي خبر مؤثر بأن الرئيس كيم إيل سونغ يستدعيهم.

عند المساء، وصلوا إلى المكان المقصود.

مشى الرئيس لاستقبالهم والذي كان بانتظارهم، معربا عن سروره لقدوم الرفاق في فرقة الغناء والرقص، ثم أمسك بأيديهم واحدا تلو الآخر.

قال إنهم جميعا جاءوا بصعوبة وهو يتفرس في بزاتهم العسكرية المضمخة بدخان المدافع، واقترح على الفنانين الباكين تقديم العرض الفني بالإحجام عن البكاء الآن.

رفع الستار عن العرض الفني، بينما غمرت المكان موجة هائجة من التأثر.

بدأ العرض الفني بالغناء الجماعي لأغنية التمجيد الثورية الخالدة «نشيد القائد كيم إيل سونغ» حتى حظي بالتصفيق المدوي.

كان العرض الفني بسيطا إلى أبعد الحدود، إلا أن الرئيس كيم إيل سونغ الذي

كان يصفق أولا وقبل الآخرين كلما تتبدل الفقرات، قال بصوت جهوري لكادر فرقة الغناء والرقص الذي يجلس إلى جانبه إن العرض الفني رائع جدا وجدير بالثناء، وإن الفن الكوري حي.

عند انتهاء العرض الفني، جلس الرئيس كيم إيل سونغ مع أفراد قيادة فرقة الغناء والرقص، وقدر نجاحهم في العرض تقديرا عاليا وهو يؤكد أن عرضكم الفني يعكس الروح الصامدة لجيشنا الشعبي وأبناء شعبنا الأبطال كما هي عليه.

هذا وأصدر لهم أوامر كفاحية جديدة.

بعد أن تلقى فنانو فرقة الغناء والرقص للجيش الشعبي الكوري إطراءه العالي وأوامره، أقسموا قسما أكيدا على الإخلاص له ووصلوا الليل بالنهار بتقديم العروض الفنية الكفاحية أمام وحدات الجيش التي تتقدم إلى الجنوب مرة أخرى.

أغنية الربيع تؤذن بانتصار الحرب

ذات يوم من أواخر نيسان/ أبريل عام ١٩٥١، زار الرئيس كيم إيل سونغ إحدى وحدات الجيش الشعبي المرابطة في قرية ريونغبو، أثناء توجيهاته الميدانية لمنطقة واونسان.

عندما عرج على بيت فلاح واطئ السقف عند سفح الجبل، استدعى إليه الضباط الآمرين والمقاتلين النموذجيين في الوحدة.

بعد أن تجالس معهم، استمع إلى قصص معارك العسكريين وأعطى التعليمات الجديدة لهم.

آنذاك، قام آمر سرية الاستطلاع بغتة من مقعده، ورجا على غير توقع قائلا: يسعدنا أن تغني الأغنية، أيها الرفيق القائد الأعلى.

ضحك الرئيس كيم إيل سونغ مقهقها وهو يوافق على رجائه، ثم شرع في إنشاد الأغنية:

حل آذار/ مارس محل شباط/ فبراير
حين يعود السنونو من كانغنام
يأتي هذه الأرض أيضا الربيع مجددا
آريرانغ آريرانغ آراريو
آريرانغ هيا بنا إلى كانغنام
...

كانت أغنية «حنينا إلى كانغنام» التي أنشدها الرئيس كيم إيل سونغ أغنية بثت ثقة وتفاؤلا بحتمية حلول ربيع الانتصار في قلوب مقاتلي الجيش الشعبي البواسل.

إنشاد «أغنية الحنين إلى الموطن» شخصيا

ذات يوم من أواخر حزيران/ يونيو عام ١٩٥١، توجه أبطال الجمهورية والمقاتلون النموذجيون الذين كانوا يقاتلون ببطولة على خط الجبهة الأمامية، إلى هيئة القيادة العليا، تلبية لدعوة الرئيس كيم إيل سونغ.

مشى الرئيس كيم إيل سونغ نحوهم وعلى محياه ابتسامة عريضة، وأمسك بأيديهم بحنان وربت على أكتافهم قبل أن يؤدوا له تحية عسكرية، وقال:

- تجشمتم عناء كبيرا لقطع المسافة الطويلة، أنتم الرفاق الأبطال على خط النار. إنكم مقاتلون متدفقون بالنشاط والحيوية.

جلس الرئيس كيم إيل سونغ معهم واطمأن على صحة المقاتلين في الجبهة واطلع منهم أيضا على مواطنهم ووالديهم وإخوتهم.

بعد أن استفسرهم عما إذا لم يواجهوا المسائل العالقة، نادى أسماءهم واحدا فواحدا ليهدي لكل منهم بندقية آلية نقشت عليها عبارة «الموت للغزاة الإمبرياليين الأمريكيين!» واسمه.

بعد برهات، دعاهم إلى مائدة الطعام وتناول العشاء معهم.

فيما يراهم يأكلون ويشربون نخب التهنئة في فرح وسعادة غامرة، طلب منهم إنشاد الأغاني التي كانوا يغنونها أثناء قتالهم في الجبهة.

بادئ ذي بدء، ترنموا بـ «نشيد القائد كيم إيل سونغ» جماعيا.

وبعدها، قام كل منهم ينشد الأغنية حسب ترتيب مجلسهم.

بعد انتهاء غنائهم، ضحك الرئيس كيم إيل سونغ قائلا إن دوره جاء الآن.

أعرب عن رغبته في إنشاد الأغنية التي كان يغنيها في فترة النضال الثوري المناهض لليابان، وأنشد الرائعة الكلاسيكية الخالدة «أغنية الحنين إلى الموطن»:

حينما غادرت مسقط رأسي
ودعتني أمي باكية أمام البوابة
ما زالت كلماتها ترن في أذني
...

ثارت عاصفة من التصفيق في المكان.

أثناء استماعهم إلى غنائه، أدى جميع المقاتلين قسما راسخا من صميم قلوبهم على القتال مضحين بحياتهم دون تردد من أجل الوطن والشعب.

إنقاذ أغنية زمن الحرب

في أحد أيام حزيران/ يونيو عام ١٩٥١، أعطى الرئيس كيم إيل سونغ تعليماته للمبدعين بشأن إبداع أغاني زمن الحرب:

- ... يتعين على الكتاب والفنانين تمثيل روح الوطنية السامية لشعبنا بصورة ملموسة وعميقة من خلال الأفكار والمشاعر والحياة للناس الذين يعيشون الواقع، بدلا من الاسترسال في الشعارات التجريدية والمملة في أعمالهم. عندئذ فقط، تكون

روح الوطنية المنعكسة على العمل ملموسة وصادقة كما هي الحال في الواقع.

رسخ مبدعو فرقة الغناء والرقص للجيش الشعبي تعليماته هذه في أذهانهم وركضوا إلى ساحة المعارك الضارية القريبة من المرتفع ١٢١١.

في سياق اختبارهم للحياة في ساحة المعارك المصيرية هذه، ألفوا أغاني زمن الحرب الرائعة ومنها «أغنية الإبادة» التي طرحت فرقة الغناء والرقص رأيا فيما إذا كان عنوانها يتناسب مع مضمونها.

لذا، عدلوا عنوانها بـ «إلى معركة حاسمة» حتى لاقوا الاستحسان لتطابقه مع أحاسيس الأغنية.

إلا أن هذه الأغنية التي اعتبرها الجميع رائعة موسيقية باتت مرفوضة تماما بعد عدة أيام من ذلك.

في يوم إقامة بروفة الأغنية «إلى معركة حاسمة»، استمع إليها من شغل منصبا هاما في اتحاد الموسيقيين الكوري، وافترى عليها وهو يسأل عن سبب إبداع هذه الأغنية الشجية، حتى رفضها قائلا إنها غير مقبولة لأن التأكيد على موت رفيق السلاح الذي سد وكر نيران العدو بصدره لن يتسبب إلا في إثارة الحزن من أفراد الجيش.

لم يكن أمام الشاعر والملحن أيضا طريقة أخرى فاضطر المبدعون إلى قضاء عدة أشهر منكمشين على أنفسهم.

في أحد الأيام من ذلك الحين، استدعى أحد الكوادر مسؤولي ومبدعي فرقة الغناء والرقص للجيش الشعبي ليسألهم عن حالة الأغنية المذكورة.

بعد استماعه من رئيس الفرقة إلى حيثية رفض الأغنية، عرض الكادر بعض الرسائل التي وصلته من الجبهة.

قال إن الجنود يغنون كثيرا أغنية «إلى معركة حاسمة» سواء عند انطلاقهم إلى القتال أو في ميادين المعارك الطاحنة لسحق العدو وطلبوا منه نقل شكرهم إلى الشاعر والملحن اللذين ألفا هذه الأغنية.

هكذا، جاء بصيص أمل في انبعاث الأغنية، بيد أن موقف من رفضها ما زال شامخا وباردا.

لم يسع فرقة الغناء والرقص أيضا سوى أن تتعامل مع الأغنية بجدية لأنها لقيت تقديرا سلبيا من قبل.

في الواقع، إن هذه الأغنية لم تنتشر تنظيميا، بل شاعت في وحدات الجبهة بسرعة عالية من يد إلى أخرى منذ أن نسخ عاملو الدعاية في وحدات الجيش نوتة الأغنية الجديدة بعد سماعهم خبرا عنها، حين عرجوا على فرقة الغناء والرقص للجيش الشعبي أثناء سفرهم إلى بيونغ يانغ في مأمورية.

استمد فنانو فرقة الغناء والرقص قوة من قول إن جنود الجيش الشعبي يحبون أغنية «إلى معركة حاسمة» وصوروها بالغناء الجماعي مع مرافقة الأوركسترا.

في ليلة أحد أيام شباط/ فبراير عام ١٩٥٢، ترددت هذه الأغنية عاليا في العرض الغنائي الراقص الذي رفع الستار عنه في مسرح مورانبونغ تحت الأرض بحضور الرئيس كيم إيل سونغ.

فوق هذه الرابية جرت المعارك الحامية
لا تنسوا دماء الرفاق
هيا نطفئ غليل حقد الشهداء
هيا يا رفاق إلى معركة الإبادة
عاش عاش لنهتف عاليا
سحقا لوكر نار العدو إلى الأمام
سحقا لوكر نار العدو إلى الأمام
هيا يا رفاق إلى معركة حاسمة
...

عندما انتهى العرض، أثنى الرئيس كيم إيل سونغ أمام الكوادر على فرقة الغناء والرقص للجيش الشعبي لحسن تقديم العرض الفني، بما يتلاءم مع خصائص الجيش، وقدر عاليا الغناء الجماعي «إلى معركة حاسمة» قائلا إنها أغنية يسمعها لأول مرة، إلا أن كلماتها وألحانها على حد سواء جيدة.

إن الرزانة الثورية هي مشاعر سامية تتيح للناس أن ينطلقوا بشجاعة أكبر إلى النضال لصد الغزاة باستبدال الإرادة الصامدة والجرأة بالحزن حتى أمام التضحيات المؤلمة أو المصاعب.

بغية تقدير الأغنية بإنصاف، كان لا بد من البحث فيها بوضع جوهر الرزانة الثورية في الصدارة، غير أن الجميع أطبقوا أفواههم لأن تهم الأسى والكآبة ونحوهما تقع عليها دون تمييز.

إن الرئيس كيم إيل سونغ هو وحده استشف كل هذه ببصيرته الثاقبة وأنقذ أغنية زمن الحرب «إلى معركة حاسمة» التي أوشكت أن تكون مطمورة للأبد، بحيث صارت تتردد على نطاق واسع على طول الجبهة.

استقبال العيد الربيعي في لهيب الحرب

كان يوم ١٥ نيسان/ أبريل عام ١٩٥٢ هو عيد نيسان الربيعي الذي يحل مرة ثانية وسط نيران المدافع باعتباره يوم الذكرى الأربعين لميلاد الرئيس كيم إيل سونغ.

في هذا العيد الأغر، انطلقت فرقة الموسيقى العسكرية للجيش الشعبي الكوري في الطريق إلى مقر القيادة العليا لأداء العرض الفني بحضور الرئيس كيم إيل سونغ.

بعد أن تلقى تقريرا عن وصول فنانيها، مضى الرئيس كيم إيل سونغ إلى الخارج ليستقبلهم بحفاوة، ثم أرشدهم إلى الغرفة ودعاهم جميعا إلى الجلوس لتناول الطعام، مشيرا إلى الموائد.

كان الواجب الأخلاقي الطبيعي لمرؤوسي الرئيس أن يقدموا له تحيتهم متمنين

صحته في عيد نيسان/ أبريل المبارك، إلا أنه بادرهم إلى ملء كأس من النخب لكل منهم وقرب أطباق الأطعمة منهم داعيا إياهم إلى تناولها.

عندما كانوا يترددون في أخذ الملاعق، عاملهم الرئيس بحنان وهو يسألهم عن أعمارهم ومواطنهم وحتى صحة والديهم وإخوتهم واحدة تلو الأخرى.

ثم، استدعى أحد الكوادر إليه ليجلس ويستمع معا إلى الغناء.

أخيرا، استهل العرض الفني، وبدأت المطربة تغني أغنية التمجيد الثورية الخالدة «نشيد القائد كيم إيل سونغ» على مصاحبة الأكورديون.

استمع الرئيس كيم إيل سونغ إلى الأغنية، متذكرا تلك الأيام في غابات بايكدو والتي كان فيها يشق طريق القتال الدامي إبان الحرب المناهضة لليابان وقد بدت على وجهه إمارات التفكير العميق.

كلما تعاقبت الفقرات، صفق أولا وقبل غيره ثناء على حسن غنائهم وعزفهم على الآلات الموسيقية على حد سواء.

حين عادوا جميعا إلى مقاعدهم بعد اختتام العرض الفني، شرح لهم عن الوضع العسكري والسياسي الناشئ قائلا إن انتصار الحرب أصبح وشيكا.

بعد برهات، حول مجرى الحديث ليطلع على نوع الآلات الموسيقية التي يتعامل معها الفنانون الآن، وقال: إنكم كنوز، أنتم أعضاء فرقة الموسيقى العسكرية، فعليكم أن تحملوا في أعماق قلوبكم شرفا وعزة بكونكم فنانين بالزي العسكري وتدرسوا بصورة أكثر لتصبحوا عازفين يخدمون الشعب.

كما أشار بالتفصيل إلى ضرورة تفعيل نشاطات العرض الفني التي تشجع المقاتلين في الجبهة.

بعد استماعهم إلى أقوال الرئيس كيم إيل سونغ، نهض جميع الفنانين لأداء «نشيد القائد كيم إيل سونغ» تعبيرا عن تمنياتهم بموفور صحته.

لدى انتهاء الغناء، أمسك الرئيس بأيديهم في حنان وهو يقول: «أشكركم، يا أعضاء فرقة الموسيقى العسكرية، على إسعادي هذه الليلة. سلمت أيديكم».

شـعر الفنانـون بالغصــة فـي حلقهـم مـن شـدة التأثـر لأنهـم زاروه لتوجيـه التهنئـة والتحيـة إليـه بمناسـبة تاريـخ ميـلاده، إلا أنهـم حظـوا بمحبتـه.

خـرج الرئيـس كيـم إيـل سـونغ معهـم ليودعهـم حتـى تتـوارى السـيارة التـي تقلهـم عـن بصـره.

كان ذلك بعد منتصف الليل.

أنغام الأرغن في قرية زانغسان

فـي النصـف الثانـي مـن حزيـران/ يونيـو عـام ١٩٥٢، زار الرئيس كيم إيـل سـونغ قريـة زانغسـان مـن قضـاء ريونغتشـون بمحافظـة بيونغـآن الشـمالية.

فـي ذلـك اليـوم، عقد فـي القريـة الاجتمـاع لاسـتخلاص نتائـج غـرس شـتلات الأرز وضمـان التعشـيب بنجـاح.

عند وصوله إلى القرية، توجه الرئيس كيم إيل سونغ قدما إلى مكان الاجتماع.

فتـح بـاب الغرفــة بهـدوء وأخـذ مكانــه فـي جهتهــا العليــا واسـتمع إلــى التقريـر والمداخـلات، بيـد أن أحـدا لـم ينتبـه إلـى ذلـك.

لـم يفطـن الحضـور إلـى مشـاركته فـي الاجتمـاع إلا فـي وقـت الراحـة، فلـم يتمالـك رئيـس الخليـة الحزبيـة وأعضاؤهـا أنفسـهم مـن شـدة الدهشـة والتأثـر.

ألقـى الرئيس كيـم إيـل سـونغ نظـرة ملؤهـا الحـب إلـى أعضـاء الحـزب وقـام مـن مكانـه قائـلا: «جـاء وقـت الراحـة فلنخـرج لاستنشـاق الهـواء الطلـق».

مضـوا إلـى الخـارج وراء الرئيـس الـذي شـرع يمشـي ببطء فـي الفنـاء، عاقـدا يديـه خلـف ظهـره.

آنـذاك، انبعثـت أنغـام الأرغـن الرخيمـة مـن قاعـة التوعيـة وتلتهـا أصـوات الغنـاء الرنانـة للنسـاء:

على هضبة جبل بايكدو يرقص الغرنوق الأبيض
ويغني الوقوق بتحرر البلاد
آه، هذه الأراضي قد وهبها القائد
فهيا بنا جميعا إلى حراثة الحقول
...

كانـت هـذه الأغنيـة تنشـدها النسـاء فـي قاعـة التوعيـة المتلازمـة مـع غرفـة الاجتماع، بانتهـاز وقـت الراحة.

بعـد أن أعـار الرئيـس كيـم إيـل سـونغ أذنيـه إلـى صـوت الأغنيـة هنيهـة، أوقـف خطـاه وسـأل بخفـوت عمـا إذا كانـت العازفـة علـى الأرغـن معلمـة.

لدى سماعه الجواب بأنها فلاحة، قال إنها إذن عضو حلقة الفنانين الهواة.

أتـاح صـوت الأغنيـة لمستمعيه أن يحسـوا بحصافـة وإرادة كوريـا المقاتلـة، الشـعب البطـل.

بعدهـا، تـرددت فـي قاعـة التوعيـة أصـوات «أغنيـة الدفـاع عـن الوطـن» التـي تحولـت تـوا إلـى الغنـاء الجماعـي.

عند انتهاء الغناء، اقترح الرئيس كيم إيل سونغ استئناف الاجتماع.

ففي تلك الليلة، جرى الاجتماع تحت إشرافه.

ذات يـوم مـن آب/ أغسـطس عـام ١٩٦٦، بعـد مـرور ١٤ عامـا منـذ ذلـك الحيـن، زار الرئيـس كيـم إيـل سـونغ قريـة زانغسـان مـرة أخـرى وعـاد بذاكرتـه بتأثـر عميـق إلـى وقـت مجيئـه إليهـا فـي فتـرة الحـرب.

سـأل الرئيـس كـوادر القريـة عمـا إذا كان أعضـاء الحـزب يغنـون جيـدا حتـى الآن، ومـا زال رئيس قاعـة التوعيـة الديمقراطيـة والعازفـة علـى الأرغـن آنـذاك علـى قيـد الحيـاة.

أجابـه أحـد الكـوادر بـأن أعضـاء الحـزب يـؤدون الغنـاء جيـدا حتـى الآن، إلا أنهمـا توفيـا للأسـف الشـديد بسـبب المـرض.

ذرع الرئيس الفناء مغتما وقال للكوادر:

كان أعضاء الحزب هنا لا بأس بهم. كانوا يعزفون على الأرغن ويؤدون الغناء جيدا أثناء الاجتماع.

مهما مرت الأيام والسنوات، لا يني أهالي قرية زانغسان يتناقلون هذه القصة المقترنة بقريتهم جيلا بعد جيل كالأسطورة.

صدور أغنية البناء في فترة الحرب

في أحد أيام ربيع العام الذي كان يدنو فيه يوم الانتصار في حرب التحرير الوطنية، قدم في مسرح مورانبونغ تحت الأرض العرض الفني الاحتفالي بعيد أول أيار/ مايو بحضور الرئيس كيم إيل سونغ.

تعاقبت على خشبة المسرح الأعمال الفنية الكفاحية تباعا مثل الأغاني الثورية وأغاني زمن الحرب.

في ذلك الحين، ظهرت مقدمة البرنامج وقالت على غير توقع: «ستسمعون بعد الآن ‹أغنية البناء› » مما أثار ذهول المشاهدين الذين يمرون بالحرب.

ما لبث أن بدأ فريق الغناء الجماعي يؤدي الغناء القوي والمرح.

لدى سماعه، خيل للمشاهدين أن يروا الملامح الجليلة لإعادة الإعمار والبناء على أرض الوطن المنتصر.

أثنى الرئيس كيم إيل سونغ على الكوادر لتقديم العرض الفني جيدا وهو يعطي لهم تعليماته بشأن إبداع الأعمال الأدبية والفنية.

آنذاك، انبرى أحد الملوثين بنزعة العودة إلى القديم يفتري على «أغنية البناء»، قائلا إنها سيئة بسبب خشونتها واحتوائها على عبارات «هيلا هوب» أكثر من اللازم، ربما لأنه عاجز عن معارضتها مباشرة.

قال الرئيس له بلهجة حازمة:

لا بأس، صدرت «أغنية البناء» في الوقت المناسب. يجدر بالفن أن يتغنى دائما بآمال وتطلعات الشعب على هذا النحو تحسبا لها. ... هذه الأغنية جيدة تبث الثقة بالنصر في نفوس شعبنا.

وأشاد بالأغنية قائلا إنها جيدة لكونها تتميز بالتفاؤل والنفحة القومية الكثيفة.

فيما بعد، ترددت «أغنية البناء» بقوة في كوريا الديمقراطية التي تكللت بالنصر.

تنفيذ الإبداع والبناء مع الأغاني

تكريس تقليد حفل استقبال رأس السنة

بمناسبة العام الجديد ١٩٥٨، أقيم في دار دايدونغمون للسينما حفل الأطفال في مدينة بيونغ يانغ لاستقبال رأس السنة.

في الساعة السابعة مساء، مثل الرئيس كيم إيل سونغ في مكان حفل استقبال رأس السنة، بينما كانت تتردد هتافات الحياة به.

حين أطلق صوت البوق الرنان، فتح ستار الحلبة الصغير واندفع الأطفال المتنكرون بزي الأرنب والديك نحو الرئيس ليرقصوا مدللين أمامه.

فيما يتأمل الرئيس حلبة الرقص المرح، قال إن دار دايدونغمون هذه للسينما ضيقة أكثر من اللازم للعب التلاميذ كما يحلو لهم، وسأل الأطفال هل يكون الأمر جيدا إذا كان لديهم قصر جديد.

حين أجابوه بالإيجاب مفعمين بالسرور، قال لمرافقه إننا لم نستطع لافتقارنا إلى كل الأشياء أثناء قتالنا في الجبال، ولكن نتمكن اليوم من توفير كل ما يرغبون فيه، ودعا إلى بناء قصر رائع جديد لهم فيما بعد.

نط الأطفال مصفقين من شدة الفرح.

رنا الرئيس كيم إيل سونغ إلى الملامح السعيدة للأطفال الذين يرقصون بحماسة دون توقف، قال بنبرة سارة إنه يشعر بأكبر سعادة عندما يكون مع أعضاء رابطة الناشئين، واقترح الاحتفال برأس السنة معهم في المستقبل.

أوشكت صالة دار السينما أن ترتج بالمصاحبة الموسيقية لـ «أغنية استقبال رأس السنة»، بينما بلغ رقص التلاميذ ذروته.

لم يصرف الرئيس نظره عن ملامح رقصهم وهو يقول:

الأطفال ملوك في بلادنا. فلنبن قصرا جديدا لبراعمنا الأحباء بأكبر حجم وبأعلى ارتفاع في أفضل مكان.

في ذلك اليوم، تغنى التلاميذ الناشئة بملء حناجرهم بالفخر لتزويد أنفسهم بالمعارف الوافرة والأخلاق السامية والأجسام السليمة طوال العام الفائت، فضلا عن عزيمتهم في العام الجديد.

بعد اختتام الحفل، قال الرئيس إن الحفل جيد لأن شكله جديد وبرنامجه أيضا متنوع، ويشعر بانشراح صدره لحضوره اليوم.

منذ ذلك الحين، حضر حفل التلاميذ الناشئة في مدينة بيونغ يانغ لاستقبال رأس السنة كل عام دون استثناء، حتى أصبح هذا الحفل أمرا تقليديا على أنه فعاليات عميقة المغزى تؤذن بنهاية العام الواحد وبداية العام التالي.

إبراز المطرب المنفرد

في مساء أحد أيام شباط/ فبراير عام ١٩٥٨، قدم في مسرح الفن الوطني العرض الغنائي الراقص العام على شرف رئيس مجلس الدولة شو إن لاي لجمهورية الصين الشعبية بحضور الرئيس كيم إيل سونغ.

فيما يحدق رئيس مجلس الدولة شو إن لاي في مطرب منفرد صادح يغني على خشبة المسرح مرتديا السترة الخطافية السوداء، أبدى سروره قائلا للرئيس كيم إيل سونغ إنه يعرف ذلك الممثل، فقد ترك انطباعا عميقا لدى الشعب الصيني بتمثيل الأمير في الأوبرا أثناء قدومه إلى الصين.

كان يقصد الأوبرا «كونغجي وباتجي» التي قدمها فنانونا في الصين.

كان الفنان المذكور ممثلا أوبريا ومطربا منفردا في مسرح الفن الوطني (آنذاك) يعرفه جيدا الرئيس كيم إيل سونغ أيضا.

نظر الرئيس كيم إيل سونغ بعين الرضا إلى ذلك المطرب وفي هذه الأثناء، قال لرئيس مجلس الدولة شو إن لاي إن ذلك الرفيق ممثل نواتي في الأوساط الغنائية لبلادنا، ويؤدي حتى الآن معظم أدوار البطولة في الأوبرات، كما أنه صاحب جدارة معروف على نطاق واسع بين شعبنا منذ التحرر كونه مطربا منفردا.

كما قدره عاليا الرئيس كيم إيل سونغ، أحسن المطرب أيضا غناءه في ذلك اليوم.

أنشد أغنية «بوتشونبو، الأرض المجيدة»، ثم الأغنية الصينية.

أثناء استماعه بانتباه إلى الأغنية، لم يخف رئيس مجلس الدولة شو إن لاي فرحته قائلا للرئيس كيم إيل سونغ مجددا إن المطرب يغني جيدا على نحو مثير للانطباعات العميقة جدا، ويتميز بسلامة النطق وحسن العواطف.

أعرب الرئيس كيم إيل سونغ عن تعاطفه مع قوله، وبادر الآخرين إلى التصفيق له فور انتهاء الغناء.

كافأه الضيوف الصينيون أيضا بالتصفيق المتحمس حتى غمرت أرجاء المكان عاصفة منه.

في وقت لاحق، قدم العرض الفني لتوديع جيش متطوعي الشعب الصيني الذي يعود إلى الوطن دفعة ثانية، بعد مشاركتهم في حرب التحرير الوطنية تحت راية «مقاومة العدوان الأمريكي، ومساعدة كوريا، وحماية الأسرة، والدفاع عن الوطن».

في ذلك اليوم أيضا، أنشد المطرب المذكور أولا الأغنية الشعبية لبلادنا، ثم الأغنية الصينية.

آنذاك، ذكر الرئيس كيم إيل سونغ أن ذلك المطرب اشترك كثيرا في العروض الفنية التشجيعية في الجبهة إبان الحرب، وقدم العرض الفني بزيارته للصين في عام ١٩٥١، كما أنشد تلك الأغنية عند مجيء رئيس مجلس الدولة شو إن لاي في شباط/ فبراير الماضي حتى أثلج صدور الضيوف الصينيين.

من جانبه لم يخف أحد ممثلي قيادة جيش المتطوعين إعجابه قائلا

للرئيس كيم إيل سونغ إن المطرب الكوري يترنم جيدا بالأغنية الصينية بما لا يقل روعة عن الصينيين، وعندما يستمع الصينيون إلى تلك الأغنية، يزدادون ثقة بالرئيس ماو تسي تونغ.

أعرب الرئيس كيم إيل سونغ عن ارتياحه الكبير قائلا إن الأغنية الصينية أغنية تشيد بالرئيس ماو تسي تونغ، وبلغني أن مطربنا أثلج صدور الضيوف بأداء الأغنية الصينية جيدا بصورة حية، فإن ذلك أمر طيب جدا.

هكذا، لم يدع الرئيس كيم إيل سونغ فرصة سانحة إلا وأبرز المطرب المنفرد الصادح إلى أبعد الحدود، حتى حظي بالتقدير والاستحسان في كل مكان يذهب إليه.

أداء أغنية الإيمان في السيارة

ذات يوم من نيسان/ أبريل عام ١٩٥٨، زار الرئيس كيم إيل سونغ مصنع كانغسون للفولاذ (آنذاك) حيث استنهض أفراد الطبقة العاملة فيه إلى إحداث تجديدات فريدة قبل أن يغادره عند المساء.

قطعت السيارة التي تقل الرئيس كيم إيل سونغ الطريق إلى العاصمة بيونغ يانغ.

لقد مر بعض الوقت، إلا أن الرئيس غرق في تفكير عميق لشدة الصدمة التي أصابته في كانغسون.

بعد هنيهة، سأل أحد مرافقيه عما إذا لم يجد مؤخرا الصعوبات في العمل.

أجابه الكادر بأنه لا يشعر بالصعوبة مهما كان يعمل كثيرا، لأن الرئيس يثق به ويعطيه التعليمات المفصلة.

من جهته قال الرئيس: لماذا لا تشعر بالصعوبة؟ حين رأيت اليوم في كانغسون ملامح عمل عمال مصنع الفولاذ، خطر ببالي ما حدث أثناء قتالنا في الجبال، وتذكر أيام الشتاء التي قضاها في فوسونغ بدون نصب الخيمة وإضرام النار حتى في ظروف البرد القارس بسبب حصار الأوغاد اليابانيين.

أضـاف أننـا نمـر الآن بتـلال العسـر، ولكـن لا يمكننـا أن نصفهـا بالشـدائد، إذا فكرنـا بمـا حـدث فـي ذلـك الحيـن. لـم يكابـد كوادرنـا الحاليـون تلـك المحـن فإنهـم يتذبذبـون وإن واجهـوا الأمـور الصعبـة ولـو قليـلا وبخاصـة، تظهـر هـذه الظواهـر كثيـرا بيـن المثقفيـن الذيـن لـم يعانـوا ضـروب المحـن. لقـد أبلـى المثقفـون أيضـا بـلاء حسـنا فـي النضـال أثنـاء قتالنـا فـي الجبـال. يتعيـن علـى المثقفيـن الحالييـن الاقتـداء بتلـك الأمثلـة.

ألقـى نظـرة لبرهـات إلـى خـارج النافـذة راجعـا بذاكرتـه إلـى أيـام النضـال الثـوري المريـر ضـد اليابـان، وأخـذ ينشـد الأغنيـة بهـدوء:

الراية الحمراء لجماهير الشعب
تغطي جثة الجندي
الدماء القانية تخضب الراية بالحمرة
قبل أن تبرد وتجمد الجثة
...

لـم يكـن صـوت الغنـاء عاليـا، إلا أن الـكادر شـعر بـدفء قلبـه لإدراكـه بمـا يـدور فـي خلـد الرئيس.

كان الوضـع آنـذاك فـي أقصـى درجـات التوتـر التـي أمسـت فيهـا الحـرب قاب قوسـين، مـن جـراء عربـدة الإمبرياليـة الأمريكيـة والقـوى التابعـة لهـا ضـد جمهوريتنـا ومؤامراتهـا لإشـعال نيـران حـرب جديـدة، ومكائـد التحريفييـن المعاديـة للثـورة، والتحديـات الخبيثـة للعناصـر المناوئـة للحـزب والثـورة، المنحـازة إليهـا ...

علـى الرغـم مـن تراكـم هـذه المحـن القاسـية، قـاد الرئيـس كيـم إيـل سـونغ الثـورة الكوريـة إلـى النصـر، سـاحقا شـتى أشـكال الهجمـات المعاديـة وهـو يغنـي بقـوة «أغنيـة العلـم الأحمـر» التـي تقـول «اجفلـوا أيهـا الجبنـاء، إن شـئتم، لكننـا سـندافع عـن العلـم الأحمـر».

أغنية ترددت في حقل القمح

ذات يـوم مـن حزيـران/ يونيـو عـام ١٩٥٨، زار الرئيـس كيـم إيـل سـونغ إحـدى المـزارع فـي محافظـة هوانغهـاي الجنوبيـة.

كانـت نتائـج الزراعـة هـذا العـام جيـدة غيـر مسبوقة لأن المزارعيـن فيهـا شـقوا قنـاة الميـاه فـي كل حقـول القمـح والشـعير والـذرة لـلإرواء بمـا فيـه الكفايـة، تلبيـة لتعليماتـه الخاصـة بإقامـة نظـام الـري فـي الحقـول.

فيمـا يجـول فـي حقـول القمـح والـذرة الناضجـة فـي القريـة، عبـر عـن رضـاه الكبيـر وقـال كـوادر المزرعـة أن يذهبـوا إلـى حقـل القمـح الآخـر.

توجهـوا معـه إلـى حقـل آخـر تتمـوج فيـه سـنابل القمـح. كان بجانبـه يرقـص أفـراد الجمعيـة التعاونيـة فـي وقـت الاسـتراحة، بدافـع مـن السـرور بالنجـاح الأول فـي الزراعـة.

قـال الرئيـس كيـم إيـل سـونغ بسـرور وهـو ينظـر إلـى حقـل القمـح مترامـي الأطـراف إنهـم مسـرورون هكـذا بالحصـاد الوافـر مـن القمـح وأنـا أيضـا مسـرور جـدا، ورغـم تجوالـي فـي الأريـاف حتـى الآن، لـم يكـن عنـدي وقـت الفـرح هكـذا إلا قليـلا، علـى مـا يبـدو.

دخل الرئيس حقل القمح الموحل ليداعب سنابله الناضجة ولم يكبح سروره.

حقـا شـهدت هـذه المزرعـة محصـولا وافـرا مـن القمـح حتـى لا تتـراءى بجـلاء البيـوت فـي تلـك القريـة الأماميـة... هـذا هـو انتصـار كبيـر لإدخـال نظـام الـري فـي الحقـول!

فـي هـذا الوقـت بالـذات، تهـادى علـى الريـح مـن وراء القريـة صـوت الأغنيـة المرحـة التـي يؤديهـا الشـباب فـي وقـت الراحـة بعـد العمـل.

أونغهييا
نجحت زراعة قريتنا أونغهييا
في حقول القمح والشعير أونغهييا
في حقول الذرة أونغهييا
المحاصيل الوفيرة جاء بها الرئيس أونغهييا

بعد أن استمع الرئيس إلى أغنيتهم حتى النهاية وعلى محياه ابتسامة لطيفة، ضحك مقهقها، وأكد للكوادر المرافقين على دفع عجلة ري الحقول بمزيد من الهمة والنشاط.

بعد عدة أشهر منذ ذلك، انعقدت الدورة الكاملة للجنة المركزية للحزب في أيلول/ سبتمبر عام ١٩٥٨ حيث تم اتخاذ القرار الخاص بإجراء العمل لإقامة نظام ري الحقول على هيئة الحركة الجماهيرية الشاملة، وطرح شعار «كل الجهود من أجل توسيع مساحة الري إلى مليون هكتار!».

المحصول الوافر في كل من الزراعة والفن

بمناسبة حلول العام الجديد ١٩٦١، حرص الرئيس كيم إيل سونغ على تنظيم المهرجان الوطني لحلقات الفنانين الهواة في الريف على نطاق كبير.

اعتنى بأعمال المهرجان عناية دقيقة منذ البداية وأشار إلى تقديم العرض الفني العام على غرار العرض المشترك للمجموعتين وإشراك عدد كبير من أفراد حلقات الفنانين الهواة قدر الإمكان لتبادل التجارب فيما بينهم.

وفي أحد الأيام من آذار/ مارس ذلك العام، شاهد العرض الفني العام عند انتهاء المهرجان واستدعى إليه أفراد اللجنة التحضيرية للمهرجان.

استقبلهم بترحاب وهو يقول إنهم بذلوا جهودا كبيرة في هذه الفترة.

ودعاهم إلى الجلوس وقال بصوت ينم عن الرضا.

- أحسنتم كثيرا في تقديم العرض الفني. يجيد فلاحونا الزراعة وليس فحسب، بل نشاطات حلقات الفنانين الهواة أيضا. تشهد بلادنا حصادا وافرا في كل من الزراعة والفن.

إني راض كل الرضا عن إحراز النجاح الرائع في المهرجان الوطني لحلقات الفنانين الهواة في الريف وأهنئ بحرارة جميع الرفاق أفراد حلقات الفنانين الهواة المشاركين في المهرجان.

واستطرد قائلا وهو يجول بناظريه حول الكوادر الذين يستغرقون في تأثر عميق:

- سمعت أنه في سياق تحضير هذا المهرجان، زاد عدد أفراد حلقات الفنانين الهواة في الريف إلى مئات آلاف أشخاص وهذا أمر طيب حقا يعد رصيدا متينا لتطوير الفن الجماهيري في الريف بسرعة أكبر في المستقبل. لا يستطيع الفن أن يتطور بسرعة إلا عندما يضرب جذوره بين الجماهير ويعتمد على ذكائها. يتطور فن بلادنا بسرعة هكذا لأن منبته يكون في الجماهير الغفيرة.

وبعد برهات، قال بنبرة راضية إنه ليس من الأمر السيئ أن يصبح جميع أبناء الشعب فردا من أفراد حلقات الفنانين الهواة، وإن جميع النجاحات المحققة في تطوير الفن الجماهيري الريفي في الفترة الماضية ثمرة رائعة أتى بها المنهج الصائب لحزبنا وقيادته الحكيمة لتعميم النشاطات الفنية بين الجماهير وجعلها جزءا من حياتها.

وأعطى مهمة منهاجية خاصة بتطوير الفن الجماهيري في الريف أكثر فأكثر من الآن فصاعدا.

بفضل خطته بعيدة المدى واهتمامه الكبير، جرت في أرياف بلادنا الاشتراكية النشاطات الفنية الجماهيرية على قدم وساق.

لحن المزمار الذي صار لحن الغناء الجماعي

في أوائل آذار/ مارس عام ١٩٦١، تجالس الرئيس كيم إيل سونغ مع المشاركين في المهرجان الوطني لحلقات الفنانين الهواة في الريف وأعطى تعليماته الخاصة بتطوير الفن الثقافي الجماهيري بصورة أكثر والبحث عن كثير من الأنغام الموسيقية القومية، قائلا:

- العزف الجماعي على الآلات الموسيقية القومية «سينآوو» رائع رغم قدم لحنه. حينما أسمعه يخيل إليّ أني أسمع لحن الانتصار في المعركة وأشعر بفوار الشجاعة. لا أعرف متى ومن نظمه ولكنه أغنية عسكرية رائعة تعكس المشاعر الوطنية جيدا. ربما أظهر أسلافنا في الماضي ذكاءهم وشجاعتهم في النضال لسحق الغزاة، وهم يغنون هذه الأغنية.

وبعد شهر واحد على ذلك، تكلم في معرض الحديث مع سكان المنطقة التي شاعت فيها أغنية «سينآوو» على نطاق واسع، أثناء توجيهاته الميدانية لمحافظة هامكيونغ الجنوبية، أنها أغنية رائعة وطرح مهمة توزيع ألحانها وتقديمها على المسرح موضحا حتى المضامين الثورية التي يجب الاحتواء عليها في الكلمات.

في آذار/ مارس عام ١٩٦٢، قدم العرض الفني العام لفناني مدينة بيونغ يانغ بحضور الرئيس كيم إيل سونغ.

أدى الفنانون أغنية «في سبيل الثورة» (سينآوو) بالغناء الجماعي.

آه، لنسحق الغزاة، لنسحق العدو
المقاتلون الأذكياء في حرب العصابات
سحقوا الغزاة عن بكرة أبيهم
هيلا هوب هيلا تحت الراية الحمراء، تحت الراية الحمراء
نواصل الروح الثورية للمقاتلين

تحول لحن المزمار الرتيب إلى لحن غناء جماعي يهز أركان المسرح.

ما إن انتهى الغناء حتى انفجرت التصفيقات المدوية.

أثنى الرئيس كيم إيل سونغ عليه قائلا إنه عمل رائع جدا، لا يمكن الحكم بأن الآلات الموسيقية القومية غير قادرة على تصوير المارش، أما أغنية «في سبيل الثورة» فتصويرها بها أفضل من تصويرها بالآلات الموسيقية الغربية، عندما أسمعها أحس بالشجاعة المتدفقة كما لو أركض على صهوة الجواد وتفور مني القوة لسحق العدو، هذه الأغنية تصنف ضمن الأغاني الثورية.

وأشار إلى الآراء الخاطئة لبعض الناس الذين يقولون إن الآلات الموسيقية الغربية هي آلات حديثة، والآلات الموسيقية القومية الكورية هي آلات كلاسيكية، مؤكدا على مواصلة تحسين الآلات الموسيقية القومية وإقامة الذات الوطنية في الموسيقى وإخضاع الآلات الموسيقية الغربية للغناء الكوري. تكلم بنبرة جدية عن ضرورة الرفض التام لنزعة العودة إلى القديم في الموسيقى القومية وإبداع الموسيقى الجماهيرية المتلائمة مع مشاعر شعبنا والمساهمة في التقدم بثورتنا مثل أغنية «في سبيل الثورة».

نهاية الصوت الأجش

في أحد الأيام من آذار/ مارس عام ١٩٦٢، قدم في مسرح مورانبونغ العرض الفني العام لفناني مدينة بيونغ يانغ بحضور الرئيس كيم إيل سونغ.

عرضت على خشبة المسرح الأعمال الفنية الموسيقية بشتى أشكالها ولم يسدل الستار إلا في الساعة الثانية والعشرين.

حين انتهى العرض، استدعى الرئيس الكوادر والمبدعين إلى ردهة الاستراحة وقدر الأعمال المقدمة على خشبة المسرح واحدا فواحدا، مشيرا إلى أن اتجاه موسيقانا الراهن صائب بالإجمال.

وقال إنه يجب على موسيقانا أن تتلاءم مع مشاعر الكوريين في أي حال من الأحوال ومن أجل ذلك، ينبغي تطويرها على أساس الألحان القومية التي يستطيع الشعب فهمها.

وأضاف أن بانسوري لا يحبه شعبنا وخاصة يكرهه الشباب واستطرد قائلا:

يجب اتخاذ الألحان الكورية أساسا لها ولا يجوز الوقوع في شرك نزعة العودة إلى القديم.

في الواقع، كان بعض الناس في ذلك الحين يصرون على إبراز الصوت الأجش المتخلف عن العصر باستمرار كطريقة تقليدية لإخراج الصوت، تتفق مع الألحان القومية.

بعد أن اطلع على تفاصيل هذه الحالة، وجه الرئيس كيم إيل سونغ ضربة حاسمة إلى النزعة الانبعاثية التي تعرقل تطور موسيقانا.

وأشار إلى ضرورة تحسين الآلات الموسيقية القومية المصنوعة طبقا للصوت الأجش من أجل تحديث الموسيقى القومية وأوضح الاتجاهات والطرق الملموسة لذلك.

هكذا، تلاشى ما يبقى في موسيقانا من الصوت الأجش.

«مارش الجيش الشعبي الكوري» المولود مجددا

بعد التحرر، كان في بلادنا النشيد العسكري «مارش الجيش الشعبي».

بعد أن استشف الرئيس كيم إيل سونغ نقائصه، عمل على إعادة تلحينه.

ذات يوم من أيام نيسان/ أبريل عام ١٩٦٦، استدعى الرئيس كيم إيل سونغ إليه الملحنين والعاملين المختصين، وقال إن «مارش الجيش الشعبي» الذي أنشدناه حتى الآن لم يتم تلحينه جيدا فيجب تأليف نشيد الجيش الشعبي الرائع من جديد.

وتابع قائلا إنه من المفروض أن يتميز نشيد الجيش الشعبي بالروح الثورية والنشاط والحيوية بحيث يثير رغبة الناس في الاندفاع إلى الأمام عند أدائه، فيجب أن يكون النشيد العسكري على غرار الأغنية الثورية.

وبعد لحظات، دعا العاملين إلى الاستماع إلى بعض الأغاني المسجلة التي على قيد الإبداع.

قد بدأ تأليفها منذ عام ١٩٦٥، تلبية لتعليمات الرئيس. إذ أنه قد أعطاهم مهمة إعادة تأليف نشيد الجيش.

ترددت الأغاني الأربع المختارة من بين الأغاني المبدعة على التوالي.

أعاد الرئيس الاستماع إلى الأغنيتين منها، وقال إنهما غير رائعتين.

ارتسمت على وجهه سيماء الجد وقال:

- من المفروض أن تتميز ألحان نشيد الجيش الشعبي عن ألحان الموسيقى المعدة للمسرح. فالألحان التي سمعناها قبل برهة يصعب علينا إنشادها فيما يبدو لأنها شبيهة كلية بالألحان المعدة للمسرح، ولا سيما أن المصاحبة الغنائية والعزف التصويري قد أصبحا مرادفين للمسرح.

وأشار إلى أن يدخل المبدعون بين رجال الجيش ويعيشوا معهم على امتداد عدة أشهر لتلحين النشيد العسكري.

حرص القائد كيم جونغ إيل على تشكيل جماعة الإبداع من المبدعين في فرقة الغناء والرقص للجيش الشعبي الكوري وذهابهم إلى إحدى الوحدات الفرعية المطلة على المرتفع ١٢١١ وتأليف كلمات الأغنية وهم يعيشون حياة الجندي.

بالنتيجة، أبدعت عدة الأغاني العسكرية الأخرى.

وقدمت تسجيلات الأغاني الثلاثة إلى الرئيس كيم إيل سونغ في أحد الأيام من أوائل أيلول/ سبتمبر عام ١٩٦٧.

بعد أن استمع إليها، قال الرئيس إن أغنية منها ردتها حسنة، ولكن ألحان مقدمتها يصعب أداؤها على ما يبدو لأن إيقاعها متناقض.

وشجع المبدعين المتحيرين قائلا إنه يمكن تأليف الغناء الرائع إذا ما بذلوا مزيدا من الجهد وأوصاهم بتعديل الأغنية اعتمادا على آراء الجنود بعد نشرها في إحدى الوحدات الفرعية.

بنـاء علـى تعليماتـه، تـم إكمـال أغنيـة واحـدة وقـدم علـى خشـبة مسـرح بيونـغ يانـغ الكبيـر «نشـيد الجيـش الشـعبي الكـوري» الـذي تـم تأليفهـا مـن جديـد، بحضـور الرئيس كيم إيل سونغ.

باستلهام التقاليد الرائعة للنضال المناهض لليابان
توطدت صفوف الأمجاد كصلابة الفولاذ
الجنود المخلصون للمارشال كيم إيل سونغ
يناضلون ذودا عن حياض وطننا الاشتراكي
إلى الأمام، أيها الجيش الشعبي الكوري
ببسالة قهر كل فرد منه مائة من الأعداء
ليسحق الغزاة الإمبرياليين عن بكرة أبيهم
...

بعـد انتهـاء العـرض الفنـي، استدعى الرئيـس كيـم إيـل سـونغ إليـه العامليـن القياديين فـي فرقـة الغنـاء والرقـص وتحـدث وهـو يبتسم ابتسـامة عريضـة أن نشـيد الجيـش الشـعبي الـذي تـم تعديلـه، لا بـأس بـه وطالبهـم بـأن يسـتمعوا إلـى الآراء بعـد نشـره فـي الجيـش الشـعبي كلـه وقـال:

- هل يغني الجنود تلك الأغنية؟

إنها طيبة إذا ما قالوا جميعا إنها رائعة.

لنصادق عليها عندما يقول جميع الجنود إنهم يحبون إنشادها.

فيمـا بعـد، أكمـل أفـراد جماعـة المبدعيـن نشـيد الجيـش الشـعبي الجديـد بصـورة أروع مـن خـلال نشـره علـى نطـاق واسـع وجمـع الآراء وفـق مـا قـال لهـم الرئيـس كيـم إيـل سـونغ.

وأخيـرا، خـرج «نشـيد الجيـش الشـعبي الكـوري» إلـى النـور فـي حزيـران/ يونيـو عـام ١٩٦٩.

طلب أداء الغناء الجماعي ثانية

فـي ١٦ كانـون الأول/ ديسـمبر عـام ١٩٦٧، أصـدر الرئيـس كيـم إيـل سـونغ البرنامـج السياسـي لحكومـة جمهوريـة كوريـا الديمقراطيـة الشـعبية «فلنجسـد أكثـر دقـة الـروح الثوريـة للسـيادة والاسـتقلال الاقتصـادي والدفـاع الذاتـي فـي كافـة أوجـه نشـاط الدولـة»، وذلـك فـي الـدورة الأولـى لمجلـس الشـعب الأعلـى الرابـع.

لـم يكبـح المبدعـون رغبتهـم فـي تصويـر البرنامـج السياسـي بالأغنيـة، فأبدعـوا «أغنيـة البرنامـج السياسـي ذي النقـاط العشـر» باعتبـاره أغنيـة تحكـي السياسـة الحزبيـة، اقتـداء بالرائعـة الكلاسـيكية الخالـدة «أغنيـة برنامـج النقـاط العشـر لجمعيـة اسـتعادة الوطـن» التـي أبدعهـا الرئيـس كيـم إيـل سـونغ شـخصيا فـي فتـرة النضـال الثـوري المناهـض لليابـان.

ذات يـوم، سـمع الرئيـس كيـم إيـل سـونغ تلك الأغنيـة التي تـم تصويرها بالأوركسـترا القوميـة والغنـاء الجماعـي وعدل بعض كلمـات الأغنية.

صحـح كلمـة «قاعـدة الثـورة» فـي الفقـرة الثالثـة مـن المقطـع الثانـي بـ «قاعـدة الاشـتراكية» حتـى تعكـس واقـع بلادنـا التـي انتصـر فيهـا النظـام الاشـتراكي بدقـة.

انهمـك المبدعـون والفنانـون بسـرور غامـر فـي تماريـن الغنـاء بالكلمـات التـي صححهـا الرئيـس كيـم إيـل سـونغ بصـورة رائعـة.

وفـي أيـار/ مايـو مـن العـام التالـي، شـاهد مشـاركو المؤتمـر الوطنـي الثانـي لطلائـع حركـة فـرق تشـوليما للعمـل العـرض الغنائـي الراقـص العـام.

شاهده الرئيس كيم إيل سونغ معهم.

وأخيـرا، جـاء دور «أغنيـة البرنامـج السياسـي ذي النقـاط العشـر» لتتـردد علـى خشـبة المسـرح بالأوركسـترا القوميـة والغنـاء الجماعـي.

تعزيز الاستقلالية أولا

بتمجيد فكرة زوتشيه لحزبنا

لنوطد الاقتصاد وقدرة الدفاع الوطني

لنطبق خطة السيادة والاستقلال الاقتصادي والدفاع الذاتي

...

عندما تنتهي الأغنية بالكاد، قال الرئيس كيم إيل سونغ بكل الرضى:

- إن «أغنية البرنامج السياسي ذي النقاط العشر» رائعة.

لنسمعها مرة أخرى. ...

يمكن للجمهور إنشادها لأنه غير صعب وعندذاك، سيعرف الجميع البرنامج السياسي ذي النقاط العشر.

من السهل نشر مثل هذه الأغنية.

حينما يحاول المايسترو الانصراف بعد انتهاء الغناء الجماعي، هرول إليه أحد الكوادر ونقل إليه أقوال الرئيس كيم إيل سونغ. فقوم وضعيته ومثل من جديد على خشبة المسرح.

رفع الستار مجددا وترددت «أغنية البرنامج السياسي ذي النقاط العشر» ثانية.

ما إن انتهى الغناء الجماعي الثاني، صفق الرئيس كيم إيل سونغ أولا وقبل الآخرين.

وقال في قاعة الاستراحة أيضا في مساء ذلك اليوم: ما أحلى غناء مضمون البرنامج السياسي ذي النقاط العشر هكذا بإيجاز.

فيما بعد، صارت هذه الأغنية التي قدرها الرئيس تقديرا عاليا، فقرة نهائية في الملحمة الموسيقية الراقصة «وطننا المجيد»، المقدمة بمناسبة الذكرى العشرين لتأسيس جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية.

في سياق إعداد العرض الفني، تم تقرير غنائها حتى المقطع الخامس بحجة

استرخاء الخاتمة في حالة إطالتها.

في أواخر آب/ أغسطس عام ١٩٦٨، أقيمت بروفة الملحمة الموسيقية الراقصة بحضور الرئيس كيم إيل سونغ.

بعد بشرف الأوركسترا، ترددت «أغنية البرنامج السياسي ذي النقاط العشر» بقوة، ثم توقفت بعد ردة المقطع الخامس.

بعد انتهاء العرض الفني، تكلم الرئيس كيم إيل سونغ للكوادر والمبدعين أن هذه الأغنية يجب إنشادها حتى مقطع النقطة العاشرة كليا.

وبذلك، أعاد الفنانون تمرين الغناء حتى مقطعها العاشر.

في يوم من أيام أيلول/ سبتمبر في ذلك العام، جاء الرئيس كيم إيل سونغ إلى مسرح بيونغ يانغ الكبير. بعد أن شاهد الغناء الجماعي والرقص «أغنية البرنامج السياسي ذي النقاط العشر» التي تم تصويرها حتى المقطع العاشر، عبر عن ارتياحه الكبير عنها، وصعد على خشبة المسرح وأمامه سلة الزهور ليشجع الفنانين، والتقط صورة تذكارية معهم.

أصداء السعادة والإخلاص

أغنية التمجيد الخالدة

كان عام ١٩٧٢ عاما ذا مغزى عميق يصادف الذكرى الستين لميلاد الرئيس كيم إيل سونغ.

بمناسبة العام الجديد، تلقت إحدى المطربات مهمتين مشرفتين من القائد كيم جونغ إيل.

إحداهما تقديم سلة الزهور إلى الرئيس كيم إيل سونغ والأخرى إنشاد أولى أغنية التمجيد الخالدة «نتمنى موفور الصحة ومديد العمر للزعيم» بالغناء الفردي.

في صباح رأس السنة الجديدة، جاء الرئيس كيم إيل سونغ إلى قاعة المأدبة وسط الهتافات والتصفيقات المدوية.

قدمت المطربة إليه سلة الزهور وتحية العام الجديد باحترام، تعبيرا عن مشاعر التمنيات لجميع أبناء الشعب.

قال الرئيس وهو يمسك يدها: شكرا، شكرا! لقد تم الاستعراض الفني على خير وجه في العام الفائت، فأنشدي مزيدا من الأغاني الرائعة في العام الجديد أيضا.

ثم أعطاها كأس النخب.

بعد قليل، ابتدأ العرض الفني. كان قلبها خفاقا لأن الأغنية التي يجب إنشادها كانت أغنية التمجيد الخالدة التي أوحى القائد كيم جونغ إيل بذرها للمبدعين ووجه إبداعها خلال أكثر من سنة ونصف لإكمالها كعمل رائع.

أخيرا، جاء دورها.

قدمت المطربة إليه تحية بخشوع وراحت تغني «نتمنى موفور الصحة ومديد العمر للزعيم».

زعيمنا يكرس كل حياته
ليجلب لنا هذه السعادة
سعادتنا اليوم زاهرة لا حدود لها
نلوذ بأحضانه ويغرقنا بمحبته

انهمرت الدموع الساخنة من عينيها.

شعر الحضور جميعا بالغصة في حلقهم من شدة التأثر. تحولت الأغنية إلى غناء جماعي.

سنتبعكم حتى نهاية العالم
سنرفعكم حتى نهاية الشمس والقمر
سننقل عطاءكم جيلا بعد جيل
سنظل أوفياء لكم مخلصين

يتطلع الشعب إلى زعيمنا الأب العظيم
ونتمنى له موفور الصحة والعمر المديد

انتهى الغناء ولم تنقطع أصوات البكاء.

أوصاهم الرئيس بصوت أجش بعدم البكاء أكثر من مرة ولكن لم يتوقفوا عن البكاء.

منذ ذلك اليوم، ترددت أغنية التمجيد الشعبية الشاملة «نتمنى موفور الصحة ومديد العمر للزعيم» في كل أرجاء البلاد.

كلمات الأغنية التي تلاها بنبرة عالية

ذات يوم من حزيران/ يونيو عام ١٩٨٣، زار دكتور علم السياسة الشهير الهندي غوفيند ناراين سريفاستافا، أمين عام معهد دراسة فكرة زوتشيه في منطقة آسيا بلادنا ثانية.

إذ أن الرئيس كيم إيل سونغ حرص على أن يزور بلادنا مع زوجته وإبنيه كي يستريح مع أفراد أسرته لأنه شفي توا من المرض الخطير.

وأقام في أحد الأيام مأدبة الغداء على شرفهم.

بينما يتناول غوفيند الطعام بشهية مع أفراد أسرته، تكلم للرئيس كيم إيل سونغ أن الهنديين الذين قابلوا سيادتكم يملكون جميعا الوعي الفكري المستقل.

سأله الرئيس: أ هذا صحيح وقال كما يلي:

- ... من المهم أن يتحلى الناس بالوعى الفكري المستقل. ...

هناك أغنية سهلة الفهم أنشدها مقاتلو جيش حرب العصابات بكثرة في فترة نضالنا الثوري المناهض لليابان، كلماتها تقول إن الإنسان إنسان لأنه يولد وله نفس الحق في الحرية، الإنسان المحروم من حق الحرية لا يختلف عن الميت، رغم كونه حيا، لذا، فهو مستعد لأن يتخلى عن حياته إنما ليس عن حريته.

بقي الرئيس صامتا لبرهات كما لو أنه يتذكر كلمات الأغنية التي كان ينشدها في أيام الحرب المناهضة لليابان، ثم تلا مقطعا منها.

الإنسان إنسان لأنه يولد
وله نفس الحق في الحرية
الإنسان المحروم من حق الحرية لا يختلف عن الميت رغم كونه حيا
لذا، فهو مستعد لأن يتخلى عن حياته إنما ليس عن حريته

حين أنهى الرئيس تلاوة الكلمات بنبرة عالية في غمرة من التأثر، أمعن غوفيند النظر في معنى الكلمات فقرة فقرة.

كانت تلك نداءات ثأر من الظلم وصيحات عارمة في الحرب المقدسة من أجل الحرية والاستقلال.

أحس غوفيند كما لو أنه يدرك مجددا كيف ولدت الحقيقة العظيمة لفكرة زوتشيه من خلال فقرة من كلمات الأغنية.

وتابع الرئيس قائلا:

- ... إذا عاش الإنسان مقيدا بالآخرين دون أي حرية واستقلالية وإبداعية بعد ولادته في هذه الدنيا فقلما يختلف عن الحيوان مثل الخيل أو الثور محروما من المكانة الجديرة بالإنسان.

- كلامك صحيح حقا.

أدرك غوفيند بعمق أكبر المعنى العظيم لفكرة زوتشيه في بالغ التأثر والانفعال.

تعجب الضيف الأجنبي

في مساء أحد أيام حزيران/ يونيو عام ١٩٨٥، شاهد الرئيس كيم إيل سونغ العرض الفني العام من المهرجان الفني الوطني لأطفال رياض الأطفال في مسرح هامهونغ الكبير.

وشاركه في المشاهدة ضيف أجنبي زار بلادنا لمقابلة الرئيس كيم إيل سونغ.

بدأ العرض الفني بالغناء الجماعي « نقدم تحية، نحن براعم الأزهار»، وأخيرا، قدمت قصة غنائية صبيانية «توبة الأرنب».

ظهر على خشبة المسرح أرنب محبب، يحسب كم من الزاد يجب حمله إلى وادي ياكسو لإبادة الحشرات الضارة دون أن يتأكد. فيسأل كلا من القنفذ والسنجاب والسلحفاة. كانت الإجابات مختلفة. يقع الأرنب في حيرة وارتباك ويشعر ببالغ الأسف والضيق.

في هذا الوقت بالذات، يظهر الجد الماعز. بعد أن سمع كلامهم ينظم سباق الجري للأربع. يعود الأرنب أولا بعد ذهابه إلى المكان المقصود، ثم السنجاب بعد وقت طويل، والقنفذ، والسلحفاة أخيرا.

بعد انتهاء السباق، ينبهه الجد الماعز قائلا: أنظر يا أرنب. وتائر عدوكم مختلفة. فلا بد من أن تعد مؤونة الرحلة حسب وتيرتك.

ما إن انتهت القصة الغنائية الصبيانية حتى صفق الرئيس كيم إيل سونغ تصفيقا كبيرا وهو يبتسم ابتسامة عريضة.

قال له الضيف الأجنبي معبرا عن إعجابه: عظيم، هذا العمل يعكس فكرة زوتشيه العظيمة لسيادة الرئيس كيم إيل سونغ. تطلب فكرة زوتشيه أن نحل كل المسائل بعقلنا الذاتي بما يتفق مع واقعنا المشخص، وصور هذا العمل تلك الفكرة الرائعة تصويرا حيا على الصعيد الفني.

تعاقبت على خشبة المسرح الأغاني والرقصات المرحة واللطيفة للأطفال على التوالي.

شاهدها الضيف الأجنبي بإعجاب ولم يضن بالتقدير والثناء قائلا إن الأطفال يحسنون هكذا لأن قيادتكم أيها سيادة الرئيس كيم إيل سونغ حكيمة والنظام الاشتراكي الرائع قائم.

عبر الرئيس عن شكره على قوله وعلى محياه ابتسامة وضاحة.

حين انتهى العرض الفني، قال الرئيس للكوادر إنه يشعر بأنه يتشبب بعشر سنوات بعد مشاهدته اليوم عرض الأطفال في المسرح الرائع، فأصبح عمره الحالي ٧٣ سنة ٦٣ سنة.

أبدى الضيف إعجابه مرارا وهو يرى الرئيس كيم إيل سونغ يبتسم ابتسامة صبوحة كما لو أنه استعاد شبابه بعشر سنوات.

أغنية أنشدها مجددا بعد ٦٦ سنة

ذات يوم من أيلول/ سبتمبر عام ١٩٩١، زار الرئيس كيم إيل سونغ موقع الآثار التاريخية الثورية في بوبيونغ. كان ذلك زيارته الثانية له بعد ١٧ سنة. عبر الرئيس عن ارتياحه لتحول أرض بوبيونغ إلى مركز رائع للتربية بالتقاليد الثورية.

ونقل خطاه نحو برج الآثار التاريخية الثورية متذكرا وقت عبوره نهر آمروك مجددا للذهاب إلى باتاوكو في حدود العاشرة من عمره في يوم الثالث من شباط/

فبراير عام ١٩٢٥ بعد السنتين على عودته إلى بيونغ يانغ خلال معبر بوبيونغ.

بعد أن اقترب من البرج سمع شرح المرشدة بانتباه كبير.

على الرغم من انتهاء الشرح، لم يتحرك الرئيس مستغرقا في التفكير العميق.

بعد لحظات، قال للمرافقين والكوادر في قاعة الآثار التاريخية: لنغني معا «أغنية نهر آمروك» التي أنشدتها وأنا أعبر نهر آمروك، إذا كنتم على درايتها. وراح يغني تلك الأغنية التي لا تنسى.

أول آذار عام ١٩١٩
في ذلك اليوم عبرت نهر آمروك
سيأتي حتما هذا اليوم كل سنة
ولكنني لن أعود إلى الوطن
قبل أن أحقق هدفي

«أغنية نهر آمروك» التي لا يعرف مؤلفها، أنشدها ذلك اليوم بتأثر بعد ٦٦ عاما وقد حقق تحرير البلاد مجتازا دروب الدم والنار الطويلة ضد اليابان.

يا مياه زرقاء لنهر آمروك
يا جبال الوطن وأنهاره،
متى سأعود إلى أرض مسقط رأسي
لدي أمنية عارمة لن أنساها طول حياتي
لن أعود قبل أن أسترد وطني

ترامى صدى الأغنية على مياه نهر آمروك الزرقاء وسلاسل الجبال الجميلة في الوطن.

أغنية اكتشفها أخيرا

تعلم الرئيس كيم إيل سونغ الأغنية الوطنية الصينية «أغنية سوو» في أيام نشاطاته الثورية بمدرسة يووين الثانوية في جيلين وأنشدها كثيرا في فترة الحرب ضد اليابان.

إنها أغنية تعبر عن أفكار الشعب الصيني ومشاعره الوطنية.

بهذه الأغنية، أثر في الصينيين واستنهضهم إلى النضال المناهض لليابان حتى انتابته مشاعر جياشة. فبعد تحرير البلاد، بذل جهودا كبيرة للحصول على كلمات «أغنية سوو». ولم يظفر بها إلا بعد أن بلغ الثمانين من العمر.

عندما عثر على كلمات الأغنية باللغة الصينية، أنشدها أمام الكوادر من شدة تأثره.

كتب الرئيس كيم إيل سونغ في مذكراته «في دوامة القرن» متذكرا ذلك الأمر بتأثر عميق كما يلي:

- ولفرط سعادتي، نسيت أنني قد تجاوزت الثمانين من العمر، ورحت أغنيها.

نظرا لأن هذه الأغنية تثير ما لا حصر له من الذكريات عن فترة شبابه ونضاله الثوري، غناها الرئيس كيم إيل سونغ بكل سرور وتأثر.

فيما بعد أيضا، عزفها على الأرغن من حين لآخر وهو يشتاق إلى الأيام التي كان يشق فيها طريق النضال المشترك الصعب مع المناضلين الثوريين الصينيين.

حياة الرجل العظيم والموسيقى

تأليف: هو سون بوك، لي سون يونغ

تحرير: آن تشول كانغ

ترجمة: رو سونغ كوم

الناشر: دار النشر باللغات الأجنبية
جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية

الإصدار: آذار/ مارس ٢٠٢٦

رقم : ٢٥٠٨٨٠٣٦٥٢٥٧

E-mail: flph@star-co.net.kp
http://www.korean-books.com.kp

الرائعة الكلاسيكية الخالدة

«أغنية الحنين إلى الموطن»

١ـ حينما غادرت مسقط رأسي
ودعتني أمي باكية أمام البوابة
ما زالت كلماتها ترن في أذني

٢ـ على مقربة من بيتي يخرخر النهير
وجوه إخوتي الصغار الذين يلعبون
ما زالت تسبح حية أمام ناظري

٣ـ مانكيونغداي في الربيع جميلة مع مياه نهر دايدونغ
الأراضي العزيزة لا تنسى حتى في الحلم
سأعود إليها في ذلك اليوم لاستعادتها

ISBN 978-9946-0-2724-1
9 789946 027241